المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
من المسرح العالمي

فندق العالمَيْن

تأليف: إيريك - إيمّانويل شميت
ترجمة: سعيد بوكرامي
مراجعة: أ. د. نادية كامل
تحليل نقدي وفني: أ. د. محمود المقداد

العدد 370
مارس 2014
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

من
المسرح العالمي

في هذا العدد

فندق العالمين

أصبح الروائي والمسرحي الفرنسي إريك إيمانويل شميت خلال بضع سنوات أكبر كاتب مسرحي في فرنسا. ولد في ٢٨ مارس العام ١٩٦٠ بسانت فويليس ليون بفرنسا. أستاذ مبرز في الفلسفة وحاصل على دكتوراه حول موضوع: «ديدرو والميتافيزيقا» سنة ١٩٨٧ يستمد إريك إمانويل شميت نجاحه من عمقه الإنساني.إذ يعتبركاتبا متفائلا في عالم متشائم.

نقدم للقارئ العربي مسرحية فندق العالمين التي حصلت على جائزة ليالي موليير سنة ٢٠٠٠ وترجمت إلى أربعين لغة، كما عرضت وما تزال تعرض في أغلب المسارح العالمية.

فندق العالمين هي إحدى مسرحياته الناجحة. تدور وقائعها داخل مكان مجهول يسميه المؤلف: فندق العالمين.لا أحد من نزلائه الخمسة: «جوليان بورتال والمنجم رادجبور والرئيس دلبيك ولورا وماري» يعلم كيف انتهى بهم الأمر إلى هذا العالم الغريب. ولا أحد يعلم متى سيغادره ولا أي جهة سيرحل إليها. في هذا المكان الملغز، كل الاحتمالات ممكنة بل حتى المعجزات يمكن أن تحدث. يستعيد المعاقون عافيتهم والكاذبون يقولون الحقيقة ومظاهر الزيف والخداع تتبخر والقلوب القاسية تتحول إلى قلوب لطيفة، بل إن القدر يمكن أن ينحاز لمصلحة الجمال والحب.

تطرح المسرحية أسئلة فلسفية ووجودية: أين نذهب، عندما نسقط في غيبوبة؟ ونصبح في المنزلة بين المنزلتين، أي ما بين الحياة والموت. قد يبدو السؤال قاحلا وبلا أفق تخيلي. لكن مع الكاتب إريك إمانويل شميت نعثر على الجواب في مسرحية «فندق العالمين» حيث تلتقي خمس شخصيات مختلفة طبعا وطابعا. تقيم في فندق لا نستطيع تفكيك سره مطلقا. النزلاء تارة يبدون في فندق وتارة أخرى نعتقدهم في مستشفى.

لا يعرف النزلاء لم هم موجودون في الفندق. هل يتعلق الأمر بفندق حقيقة أم بمستشفى للأمراض النفسية؟ وما هي وظيفة الدكتورة «س»؟ وهذا المصعد ما وظيفته هنا؟ ولم يشغل بإرادة خفية؟

يدرك القارئ أن ما يحدث أمامه يتسم بالغرابة، فالفندق حيث تدور أطوار المسرحية ليس فندقا عاديا ونزلاؤه ليسوا نزلاء عاديين.

ينجز إريك إمانويل شميث ذلك بعمق إنساني يزيح بواسطته اللثام عن حقيقة الوجود الإنساني (الحياة. الموت. الهدف من الحياة) من دون السقوط في الإسفاف والتبخيس. ورغم صعوبة معالجة موضوع فلسفي، فإن الكاتب تمكن من أن يمنحنا مسرحية أصيلة ومثيرة للاهتمام. جميلة ومدهشة. لغتها شفافة ومرحة. خالية من التأملات الفلسفية الجافة للمواقف العبثية. لا أحد يفسر شيئا ولا أحد يبرر شيئا. تصطبغ بألوان رمادية لكنها مسلية أحيانا ومضحكة في أحيان أخرى.

ISBN 978-99906-0-410-8
رقم الإيداع: (٢٠١٤/٠٢٦)



فندقُ العالَمَيْن

تأليف: إيريك-إيمَّانويل شميت

ترجمة: سعيد بوكرامي

مراجعة: أ. د. نادية كامل

تحليل نقدي وفني: أ. د. محمود المقداد

من المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

فندق العالَمَيْن

ISBN 978-99906-0-410-8

رقم الإيداع: (٢٠١٤/٠٢٦)

فندق العالمَيْن

تأليف: إيريك-إيمّانويل شميت

ترجمة: سعيد بوكرامي

مراجعة: أ. د. نادية كامل

تحليل نقدي وفني: أ. د. محمود المقداد

العنوان الأصلي للمسرحية

Hôtel des deux mondes

by: Éric-Émmanuel Schmitt



الفهرس



تمهيد

ينتمي النص الذي بين أيدينا إلى المسرح الفرنسي المعاصر، لكاتبٍ استطاع في نحو عَقْدين من الزمان - هما العقد الأخير من القرن 20 والأول من القرن 21 - أن يشق طريقه إلى العالمية. وأن يصبح أحد الخمسة عشر كاتبا الأكثر مقروئية في العالم. وهو الفرنسي الوحيد من بينهم. وقد كان كاتبا غزير الإنتاج، متعدِّد المواهب والأشكال الإبداعية والتأليفية polymorphe: فهو كاتب مسرحي، وروائي، وقاص، ومكيِّف لبعض أعمال الكتاب الآخرين الأدبية للمسرح، وكاتب لسيناريو بعض الأفلام، وكاتب لحوارات كتاب قصة مصورة بالرسوم، وكاتب دراسات ومقالات، ومفكِّر، وفيلسوف، وعازف بيانو..

وقد ترجمت أعماله إلى ثلاث وأربعين لغة حية، وصرح هو نفسه ذات مرة سنة 2007 بأن أعماله ترجمت ونشرت في خمسين لغة، ومثلت مسرحياته في نحو خمسين بلدا في العالم. وانتخب سنة 2012 عضوا في (الأكاديمية الملكية للغة والأدب الفرنسيين) l'Académie royale de langue et littérature françaises ببلجيكا، شاغلا المقعد رقم (33) الذي كان يشغله قبله مشاهير في الكتابة من مثل (كوليت) (1954م) Colette و(جان كوكتو) (1963م) J. Cocteau. ونال على أعماله المختلفة جوائز كبرى في بعض البلدان: ففي فرنسا (نحو 21 جائزة)، وفي ألمانيا (3 جوائز)، وجائزة واحدة في كل من البلدان التالية: بلجيكا، إيطاليا، سويسرا، إسبانيا، روسيا، أوكرانيا.

وقد أُلِّفتْ عنه بالفرنسية ثلاثة كتب على الأقل، وكتبت عن أعماله عشرات المقالات النقدية والمراجعات، وأجريت معه أيضا عشرات من المقابلات الصحافية والتلفزية والإذاعية، وله عدد من اللقاءات والمحاضرات مع جمهوره. وقد انتقل منذ سنة 2002 للإقامة في (بروكسل) عاصمة بلجيكا، وحصل على الجنسية البلجيكية سنة 2008، ولا يزال مقيما فيها.

وربما عرفه العرب من خلال مسرحيته التي أُفْلِمَتْ (السيد إبراهيم وزهور القرآن) Monsieur Ibrahim et les Fleurs du Coran ، التي لعب دورها الرئيسي الممثل العربي (عمر الشريف) سنة 2003 بشخصية بقال مسلم يصادق طفلا يهوديا من سكان حيه. وقد بيعت من بعض أعماله أعداد هائلة من النسخ، وعلى سبيل المثال بيع من مسرحيته المذكورة (السيد إبراهيم..) فقط: في فرنسا (250.000 نسخة) وفي ألمانيا (300.000 نسخة)، وبيع من مسرحيته (إنجيل بيلاطس) (200.000 نسخة)، ومن مسرحيته (أوسكار والسيدة الوردية) (400.000 نسخة)، إلخ. ومثِّلت مسرحياته في فرنسا وخارجها في عروض كثيرة، ومنها على سبيل المثال أيضا أن مسرحيته (الزائر) مثلت (600) عرض حتى سنة 2007.



(1)

سيرته الذاتية

مولده ونشأته وتعليمه:

ولد (شميت) في 28 آذار (مارس) سنة 1960، في بلدة تابعة لمدينة (ليون) Lyon في جنوب فرنسا، لأبوين كانا مدرسين للتربية الرياضية: وقد عمل أبوه بعد ذلك (مدلّكا طبيا = فيزيائيا)، ثم ملاكما، وكانت أمه بطلة جري. ويبدو لنا من اسم الأسرة (شميت) [1] Schmitt أن أصولها ألمانية من مقاطعة (الألزاس) التي تضم خليطا من الألمان والفرنسيين، وقد استقر أمرها بعد جملة نزاعات لتصبح جزءا من فرنسا.

وربما جرب كاتبنا في مرحلة من عمره الدخول في مجال الملاكمة كأبيه، فخرج منها بكسر في الأنف وشرم في الشفة العليا تحت فتحة الأنف اليسرى وتحطُّم في مقدمة أسنانه (صحيفة «لو فيغارو» سنة 2003)، لأنه كان في مراهقته متمردا عنيدا، إلا أنه لجأ للهدوء والتأمل والتركيز في التفكير بعد ذلك.

نال الثانوية في (ليسيه دو بارك) lycée du Parc، في (ليون). وكانت له تجربة خاصة في نيلها وهو في السابعة عشرة من العمر، فقد كانت دراسته سطحية لانشغاله عنها باللهو والتسلية، فقد كان يستمع إلى الموسيقى بإفراط، ويعزف على البيانو، ويلتهم الروايات التهاما، وبدأ يكتشف الفلسفة،

(1) وإملاء الاسم بالألمانية (Schmidt) ويلفظ حرف d تاء أيضا.

ويتعاطى المسرح في الثانوية، وكانت عواطفه الذاتية ملتهبة ويحلم بعلاقات لم تقع. وقبل بضعة أسابيع من اختبارات الثانوية الكتابية والشفوية لشهادة (البكالوريا) bac، تملكه الخوف من الإخفاق في اجتيازها وأعاد حساباته، لأنها جواز المرور إلى عالم البالغين في المجتمع، فعزل نفسه في غرفة رطبة وباردة وأغلق النوافذ والأبواب وعزل نفسه تماما عن محيطه وأخبر أهله أنه يدرس، وعاش في قلق بالغ، وعمل ليلا ونهارا حتى هزل جسمه، وقدم اختباراته الشفوية وهو يتلعثم ويتصبب عرقا، وبعد الفراغ من الاختبارات جميعا أغرق نفسه - وهو ينتظر النتائج - في قراءة رائعة (بروست) (1922م) Proust الروائية (البحث عن الزمن المفقود)[1] À La Recherche du Temps Perdu، لم يكن يفكر في تلك النتائج التي صدرت بنجاحه، وجاءه المهنئون بها. وقد أفاد من فترة العزلة هذه درسا عظيما، فقد بينت له العزلة أنها مفيدة جدا للعمل الفكري الذي اتجه نحوه فيما بعد، ولمس نتائجه في كل إبداعاته التي صنعت له شخصية أدبية متميزة يُغْبَط عليها من الكثيرين، أو ربما يُحسَد عليها، وقد صرح بذلك لصحيفة (لوموند التربوية، سنة 2008)، قائلا: (اختبارُ الثانوية والجرعةُ الكبيرة من «بروست» حوَّلاني أخلاقيا صافي الذهن: ففي العزلة تم توجيه حياتي، والعزلة هي وحدها الفن الذي يمكنه أن يشفينا، وهي الصداقة الحقيقية).

ثم انتقل للدراسة في (مدرسة المعلمين العليا) الشهيرة بباريس L'École Normale Supérieure ما بين سنتي 1980و1985، حيث حصل على

(1) وقد ترجمها إلى العربية الأستاذ (الياس بديوي) ونشرت في منشورات وزارة الثقافة بدمشق في سنتي 1977و1980.

درجة (الأغريغاسيون) l'Agrégation في الفلسفة. ثم إنه سجل، في جامعة باريس الرابعة Paris IV، أطروحة للدكتوراه في الفلسفة بعنوان (ديدرو[1] والميتافيزيقا [الماورائية]Diderot et la métaphysique [2]، بإشراف الأستاذ الفيلسوف (كلود بروير) Cl. Bruaire، وقد ناقشها سنة 1987، ونشرها فيما بعد بعنوان (ديدرو أو فلسفة الإغواء) Diderot ou la philosophie de la séduction سنة 1997. وكان (شميت) يرى في (ديدرو) أستاذه ومثله الأعلى، وكان يَعُدّ نفسه تلميذا ومحبا ومريدا له، حتى أطلق عليه بعضهم لقب (ديدرو القرن الحادي والعشرين)، وكان يقول عن نفسه أيضا: (إنني المؤلِّف الوحيد الذي لايزال حيا من القرن الثامن عشر).

عمله:

مارس (شميت) مهنة التدريس - أثناء خدمته العسكرية - في الثانوية العسكرية بـ (سان-سير) Saint-Syr، ثم بعد ذلك في مدينة (شيربورغ) Cherbourg على ساحل بحر المانش. كما درَّس الفلسفة، بصفته أستاذا

---

(1) ديدرو: هو (دُني ديدرو) Denis Diderot (1784-1713)، كاتب فرنسي متبحِّر ومتعدد الأشكال multiforme، كان قاصا وكاتب دراسات ومترجما وناقدا، ومترسِّلا، وفيلسوفا ماديا ومتحررا، ومغرما بالفن والتقنيات في عصره، وأديبا وضع بصمته على جميع الأنواع الأدبية ومنها: المسرح، والنقد، والرواية. وأشرف بالاشتراك مع (دالامبير) d'Alembert على وضع (المعجم المعقلن) أو (الموسوعة) الشهيرة L'Encyclopédie، في عصر التنوير الفرنسي، وكتب كثيرا من موادها، ولم يكتشف الفرنسيون أهميته إلا بعد نحو قرن من وفاته، أي في أواخر القرن التاسع عشر.

(2) الميتافيزيقا: تعني ما وراء الطبيعة، أي تصور الغيبيات وغير المحسوسات والروحانيات التي تناولتها الأديان جميعا، وفسرت بها الوجود الكوني والإنساني ومسألة المصير، وقد كان (ديدرو) لا يؤمن بشيء منها باستثناء إيمانه بالله تعالى.

جامعيا، سنتين في جامعة (شامبيري) Chambéry في منطقة (الرون-الب) Rhône-Alpes في جنوب شرق فرنسا. وقد علمته الفلسفة درسين مهمين: الأول أن يكون هو نفسَه، والثاني أن يكون حرا.

ثم ترك التدريس - منذ سنة 1993 تقريبا - ليتفرغ للكتابة بعد نجاح مسرحيته الأولى (ليلة فالوني) La Nuit de Valognes سنة 1991، ثم مسرحيته الثانية (الزائر) Le Visiteur سنة 1993، نجاحا منقطع النظير.

ولعه بالمسرح:

يذكر (شميت)، فيما يذكر من ذكريات، سبب ميله إلى المسرح وولعه به، أن أمه اصطحبته، وهو طفل، لحضور المسرحية الملهوية (سيرانو دو برجيراك) [1] Cyrano de Bergerac للكاتب (إدمون روستان) (م1918) E. Rostand، فتأثر الطفل بها إلى حد البكاء. وعمد بعدها إلى الدخول في الفرقة المسرحية لثانويته، ومثّل دور الحارس الأول في مسرحية (انتيغون) Antigone للكاتب (جان آنوي) (م1987) J. Anouilh، فأضحك الجمهور كثيرا. ونجده يؤلّف مسرحية ساذجة، وهو في السادسة عشرة، بعنوان (غريغوار) Grégoire، وقد أخرجها، وصمم ديكوراتها، واحتفظ لنفسه بدور فيها على مسرح ثانويته. ومن ثم قرر بينه وبين نفسه أن يصبح كاتبا، فأقبل على المطالعة بنهم، وكان من أبرز اهتماماته قراءة المسرحيات

(1) وهي من مترجمات المرحوم (مصطفى لطفي المنفلوطي) بتصرف بعنوان (سيرانو دو برجراك) أو (الشاعر) في مطالع القرن الماضي.



التي كتبها كبار الكتاب في مختلف العصور من أمثال: (سوفوكليس) Sophocle، و(أوريبيدس) Euripide، و(إسخيلوس) Éschyle، و(شيكسبير) (1616م) Shakespeare، و(موليير) (1673م) Molière، و(بيكيت) (1989م) Beckett، و(كلوديل) (1955م) Claudel، و(آنوي)، وغيرهم.

وكانت محاولاته الأولى لكتابة المسرحيات تقوم على تقليد كتابات الآخرين، ولا سيما (موليير) و(كلوديل) و(شيكسبير)، ومعارضة مسرحياتهم، ومن ثم محاولة كتابة مسرحية خاصة به، وإعادة كتابتها مرارا.

ومما يدل على ولعه الشديد بالمسرح أنه يعترف بمحاولة نقل عدوى هذا الولع إلى طلابه حين مارس مهنة التدريس، فقد قال: (وعندما كنتُ أدرِّس الفلسفة، كثيرا ما كنتُ أتحدَّث لطلابي عن المسرح، وأوجِّههم إلى مطالعة سوفوكليس، وكذلك شيكسبير)، والمعلوم أن للأفكار المطروحة في اي مسرحية خيطا فلسفيا ما، وقد رأينا علماء النفس، ومنهم (فرويد) يتكئون، في تحليلاتهم، على شخصيات مسرحية من مثل (أوديب) Odipe و(إلِكترا) Électre، إلخ.

الليلة الجزائرية الملهمة والفاصلة أو المؤسسة في كتابة (شميت) المسرحية:

يروي (شميت) أنه ذهب مع بعض أصدقائه، سنة 1989، في رحلة استجمامية وسياحية إلى (مرتفعات الأحجار) أو (الهُقّار) le Hoggar البركانية الواسعة في جنوب الجزائر، وارتقوا هنالك إلى القمة العالية في جبل (تاهات) Tahat، ولما أرادوا الهبوط منها رغب (شميت) في الانفراد بنفسه في النزول بطريق اختاره، فضلا عن بقية زملائه، وهبط الظلام عليه، وحل البرد الصحراوي القارس، وانتابه الخوف الشديد، فما كان منه إلا أن دفن نفسه في الرمال الناعمة ليتقي شر البرد، وطوال الليل كان يرى النجوم تتلألأ في السماء الصافية تماما، ورأى أعدادها الهائلة، وعندها فكر في أمر هذا الكون، وشعر أن وراءه قوة خارقة تديره وتسيره، وقد وصف تجربته تلك الليلة فقال: (لقد كانت تلك الليلة من العزلة، تحت قبة السماء المرصعة بالنجوم، ليلة غير عادية، فقد جرَّبتُ الشعور بالمطلق، مع اليقين بأن نظاما أو عقلا كان يسهر علينا، وبأنني قد خُلِقْتُ ضمن هذا النظام، ومن ثَمَّ شغلتْ أفكاري الجملةُ التي تقول: إن كلَّ شيء مُسَوَّغ.. تلك الليلة كانت أيضا تجربة للخلود، لقد جعلتني تلك اللحظة المتمدِّدة قويا إلى حد لا يُصَدَّق، وقد أدركتُ من وقتها أن ما في داخلي أكثر مني.. وتبقى تلك الليلة الصوفية تجربةً مؤسِّسة.. وعندما عثرتُ على أصدقائي، في صباح اليوم التالي، شعرتُ بالخجل من جعلهم يقلقون من اختفائي، ولم أجرؤ على إشراكهم في فرحتي)، وكانت تلك الليلة في 4 شباط (فبراير) من تلك السنة. وقد أضاف إلى ذلك، مقارنا بين كتاباته قبل هذا التاريخ الفاصل وبعده، قائلا: («وانطلاقا من ذلك التاريخ تمكَّنْتُ من الكتابة، وبدا

لي - حتى ذلك التاريخ - أن كلَّ ما كنتُ قد كتبتُه إنما كان عَبَثًا!»)، فيا للصحراء العربية! كم لها من أفضالٍ معنويةٍ وماديةٍ على البشرية!.. ومن هذه البشرية هذا الكاتب الذي أقر بهذا الفضل قائلا: («وبعد وقت يسير كتبتُ أولى مسرحياتي: (ليلة فالوني)، ومنذئذٍ لم أتوقف عن الكتابة. لقد أوحت إليَّ تلك الليلة في الصحراء كلَّ ما كتبته: لقد أصبحتُ ناسخا لما يُمْلَى عليَّ!..»)، وكأنما صار لصاحبنا وحي يلهمه وهو مجرَّد مدوِّنٍ عنده. وقد نشر هذه المسرحية سنة 1991، وكانت علامة فاصلة في حياته الكتابية للمسرح خاصة، وقد وصف هذه التجربة التي مر بها تلك الليلة بقوله: («لقد عشت - كما أظن - تجربة روحانية قاسية»).

كانت إحدى صديقاته تلاحظ أن ما كان يكتبه قبل مسرحية (ليلة فالوني)، التي يعدها البداية الحقيقية التي كان يبحث عنها في الكتابة المسرحية، أنه يقلد أو يقارب ما كان يكتبه (كلوديل)، وهو يقول عن ذلك: («كنت أسيرُ بتثاقل الفيل على آثار كلوديل، وذات يوم قالت صديقة لي: أنت تحلم أن تكون كلوديل؟!.. فحرَّرتني هذه العبارة تماما، لأنها كانت تعني: كُن ما أنتَ عليه، كن أنت نفسَك!..»). ولذا وصف كل كتاباته قبل تلك المسرحية المذكورة بأنها كانت عبثا.

عقيدته:

ولد (شميت) ونشأ وتربى بين أبوين يوصفان بأنهما ملحدان، إلا أنهما مع ذلك عَمَّداه حسب الأصول المسيحية، وحين بلغ الحادية عشرة سجلاه في التعليم المسيحي قائلين له: («على أي حال يجب أن تتعرَّف على هذا

التاريخ»)، أي أنهما دفعاه إلى معرفة العقيدة وتاريخها من باب العلم بالشيء، وهي معرفة انتفاعية لا إيمانية، وذلك لأن معرفة العقيدة وتاريخها مما لا يستغني عنه المرء غالبا، وإن كان من غير العمل به. ثم إن (شميت) يبيِّن لنا أنه أصبح بعد ذلك ملحدا، ومن ثم أصبح لا أدريا agnostique، وبعد ذلك تحول إنسانا لا يؤمن بأي دين، ولكنه آمن بالله وحده على أنه خالق هذا الكون والمتحكم فيه، أو بتعبير أدق أنه كان على يقين بأن (نظاما) أو (عقلا) يسهر علينا، وبأنه خلق ضمن هذا النظام. وربما كان لأستاذه وقدوته (ديدرو) تأثير عميق من هذه الناحية في شخصيته، لأنه كان كاتبا متعدد الأشكال، ومتشككا في عقيدته، وكان ذا عقلية ناقدة، أو باختصار كان فيلسوفا موسوعيا، وكان ذا نزعة مادية وعلمية، واتجه في إيمانه إلى (المذهب التأليهي) théisme ou déisme، اي الإيمان بإله واحد في الكون بغض النظر عن أي دين. ولعل تأثيرات الفلسفة في كليهما أدت بهما إلى هذا الاعتقاد. والمعلوم أن الأفكار الفلسفية أو مذاهب الفلاسفة عموما إنما هي محاولات عقلية بشرية لفهم قضية الخلق والكون والطبيعة والنفس والإنسان معا أو بالتجزئة، ولكل فيلسوف مذهبه، في حين أن الأديان السماوية كانت تقوم على مسلمات بغيبيات لا قدرة للإنسان أن يقطع الشك باليقين فيها، وهي تعتمد على التسليم المطلق بها، وغالبا ما تكون مسألة العقيدة وراثية على حد تعبير النبي (ص) في حديث: «يولد المولود على الفطرة، فأبواه...»، واختلاف المصدر بين الفلسفة والدين جعلهما شيئين متباينين، علما أن بعض المفكرين حاولوا التوفيق بينهما، فلم يفلحوا، لاختلاف مصدريهما. والفيلسوف يحاول بناء نظرية تفسيرية متكاملة وفق



تصوره العقلي الخاص، ولذا تباينت الفلسفات، وكانت في حدود الاجتهادات والتصورات المجرَّدة.

ولعل عقيدة (شميت) وفلسفته كانت تقوم بالدور الأعظم في اختيار مواضيع مسرحياته خاصة وسائر أعماله عامة. وقد حاول فيها أن يتناول قضية الخلق والخالق، والمصير الإنساني أو الحياة والموت، والعلاقات بين الإنسان والإنسان، ولذا تطرق إلى معالجة كثير من الأمور من خلال الأديان الكبرى في العالم بلا تمييز بينها في المنزلة والأهمية: ففي مسرحيتي (ميلاريا) و(السومو) كان ينظر من خلال (البوذية)، وفي مسرحية (السيد إبراهيم..) من خلال (الإسلام)، وفي مسرحية (أناجيلي) من خلال (المسيحية)، وفي حكاية (ابن نوح) من خلال (اليهودية). وعالج حتى (النزعة المادية) و(الإلحاد) من خلال مسرحيتي (أوسكار) و(الزائر)، وهكذا أثار اهتمام شرائح واسعة من أتباع هذه الديانات والنزعات في العالم. وقد كشف عن غايته من هذه المعالجات في إحدى مقابلاته قائلا: («إنه يحب أن ينهي مسرحياته بالسخرية من بعض الأفكار أو العقائد المسلَّم بها، من أجل إجبار المشاهدين [أو القراء ضمنا] على الشك والمناقشة»).

استقرار (شميت) في (بروكسل) ونيله الجنسية البلجيكية:

يبدو أن النجاح الأدبي الهائل الذي حققه (شميت) على صعيد الشهرة والمجد والثروة قد حرَّك عليه نفوس حساده، فأخذوا يزعجونه، فلم يجد في فرنسا الراحة والحرية التي ينشدها، فأكثر من الأسفار إلى مختلف البلدان لعله يخفِّف من ضائقته النفسية، ثم اضطر منذ سنة 2000 إلى

الرحيل إلى (دبلن) عاصمة (إيرلندا)، ومن ثم انتقل للإقامة في (بروكسل) عاصمة (بلجيكا)، وفي سنة 2008 منحته الدولة جنسيتها وحق مواطنيتها، وكرمته بانتخابه عضوا في (الأكاديمية الملكية للغة والأدب الفرنسيين) تقديرا لإنتاجه الغزير باللغة الفرنسية، وكفلت له حرية التعبير والإبداع. وهذا الأمر مما يحسد كتابُنا العرب الاتحادَ الأوربي عليه. وقد وصف (شميت) مدينة (بروكسل) بإعجاب فقال: («إنها مريحة جدا.. ومن السهل الذهاب فيها من طرف إلى آخر.. أما في باريس فإنك تمضي كل وقتك في الطريق، وفي السيارة.. وفي بروكسل كل شيء سهل.. والناس فيها هادئون دافئون»).

(2)

إنتاجه الأدبي

كان (شميت) - كما ذكرنا من قبل - غزير الإنتاج، متعدِّد المواهب الأدبية والفنية، ونجد أبرز إسهاماته في (المسرح)، وفي (الرواية) وفروعها. وقد فسر لنا سبب اهتمامه بالكتابة للمسرح أكثر من اهتمامه بكتابة الرواية فقال: («لقد انجذبت إلى المسرح قبل الرواية، لأنني شاهدت مسرحيات عظيمة قبل أن أقرأ الروايات العظيمة»).

ويمكن أن نثبت هنا سردا بجملة أعماله الأدبية على اختلافها، وحسب النوع الأدبي الذي تنتمي إليه كل مجموعة منها، مع تاريخ نشر كل عمل منها، وذكر التحولات التي أصابته:



أولا - في ميدان المسرح:

1 - مسرحيات من فصل واحد كتبها لمناسبات احتفالية لبعض المنظمات، هي:

1. مدرسة الشيطان (1996) L'École du diable
2. الكمّامة (1999) Le Bâillon
3. ألف يوم ويوم (2000) Mille et un jour

2 - مسرحيات متعددة الفصول، هي:

1. ليلة (فالوني) (1991) La Nuit de Valognes.
2. الزائر (1993) Le Visiteur.
3. (غولدن جو) (أو جو الذهبي) (1995) Golden Joe.
4. روايات غامضة (1996) Variations Énigmatiques.
5. (ميلاريا) (1997) Milarepa.
6. الفاسق (أو المتهتّك) (1997) Le Libertin: وقد حولت فيلما سينمائيا.
7. (فريديريك) أو جادة الجريمة Frédérick ou le boulevard du Crime (1998).
8. فندق العالَمَيْن Hôtel des deux mondes (1999) (وهي المسرحية الراهنة).
9. السيِّد إبراهيم وزهور القرآن M. Ibrahim et les fleurs du Coran (1999): وقد حوِّلت هذه المسرحية فيلما للسينما سنة 2003.

10. (أوسكار) والسيّدة الوردية (2002) Oscar et la dame rose وقد حولت فيلما سينمائيا.

11. جرائم زوجية صغيرة (2003) Petits crimes conjigaux.

12. أناجيلي Mes Évangiles إنجيل (بيلاطس) L' Évangile selon Pilate (2004).

13. أناجيلي Mes Évangiles ليلة جبل الزيتون La Nuit des oliviers (2004)

14. تِكْتُونية العواطف (2008) La tectonique des sentiments

15. حياتي مع (موزار) (2011) Ma vie avec Mozart

16. رجل سهلٌ جدا (2013) Un homme trop facile

17. أسرة (غيتري) (2013) The Guitrys.

3 - مسرحيات مقتبسة من أعمال أدبية اخرى هي:

1. (سارة): (2002) Sarah اقتباس من مسرحية لـ (جون مورّل) John Murrell.

2. شهور العسل (2004) Lunes de miel: اقتباس من مسرحية (حيوات خاصة) Private Lives للكاتب الإنكليزي (نويل كاورد) Noël Coward (1973).

3. الأحدب: (2008) Le Bossu وهو اقتباس من عمل لـ (بول فيفال) P. Féval (1887) بذات العنوان.



4. (ميلادي): Milady (2010) وهي اقتباس من رواية (ألكساندر دوما) A. Dumas (1870) (الفرسان الثلاثة Les Trois Mousquetaires).

5. (كيكي فان بيتهوفن): Kiki Van Bethoven (2010) وهي حاشية مسرحية لكتابه (عندما أفكِّر أن بيتهوفن قد مات وكثيرا من الأغبياء يعيشون).

6. يوميات (آن فرانك) Le Journal d'Anne Frank (2012): وهي اقتباس من (يوميات آن فرانك).

7. تاجر البندقية Le Marchand de Venise: مقتبسة من المسرحية الشهيرة لـ (شيكسبير) بذات العنوان.

وقد صوِّر من هذه المسرحيات نحو سبع مسرحيات.

ثانيا - الروايات:

1. طائفة المغرورين La Secte des Égoïstes (1994).
2. إنجيل (بيلاطس) L'Évangile selon Pilate (2000).
3. حصة الآخر La Part de l'autre (عن شخصية الزعيم النازي أدولف هتلر) (2001).
4. عندما كنتُ عملا فنيا Quand j'étais une œuvre d'art (2003).
5. (أوليس) من بغداد Ulisse from Bagdad عن تجربة الهجرة بعد تردي أوضاع العراق منذ سنة 2003 (2008).
6. المرأة في المرآة La femme au miroir (2011).

7. بيغاوات ساحة (آرتسو) Les Perroquets de la place d'Arezzo (2013).

ثالثا - المجموعات القصصية:

1. (أوديت تولوندو) وأقاصيص أخرى Odette Toulemonde et autres histoires (عددها 8) (2006): وقد حولت أقصوصة (أوديت) فيلما سينمائيا.
2. حالمةُ (أوستاند) La Rêveuse d'Ostende (عددها 5) (2007).
3. كونشرتو في ذكرى ملاك Concerto à la mémoire d'un ange (عددها 4) (2010).
4. سيِّدان من (بروكسل) Les deux messieurs de Bruxelles (عددها 5) (2012).

وللكاتب (شميت) نحو 18 عملا من أعماله المذكورة مسجلا على أقراص مدمجة بصوته أو بأصوات أخرى (وفي ذلك فائدة عظيمة للمكفوفين، والصغار، وحتى الأميين أو ضعاف القراءة من الفرنسيين والفرانكوفيين).



(3)

مسرحية (فندق العالَمِيْن)

منذ الوهلة الأولى لقراءة هذه المسرحية يشعر المرء أنه في جوٍّ (كافكوي) خالص، ولعل تاثيرات (فرانتس كافكا) F. Kafka (1924)، الكاتب التشيكي باللغة الألمانية، في روايتيه (القضية [أو المحاكمة]) و(القَصْر) خاصة، كانت وراء هذا النمط من التصوير، حيث تجد الشخصيات غموضا يحيط بها، وقوى خفية تحركها وتتحكم فيها من غير معرفة ماهيتها، ومؤسسات رسمية غير معروفة تسحق الإنسان وتضيّق على حريته، أو تتحكم في مصيره رغم إرادته، وتلم بمعلومات تامة عنه، أو عن غيره من المواطنين، إن لم تكن هذه المعلومات فائضة أيضا، إضافة إلى الدخول في أماكن غريبة لا يعرفها، ولا يدري متى يخرج منها، ولا يعرف كيف يخرج منها، وتوجه إليه تهم لا يتذكر أنه ارتكب ما يدعو إليها.. إنه جو الإرهاب والهيمنة المفروض بما يشبه الجبر على الإنسانية، ولا يعلم المرء فيه إلى أين المصير!.. وقد لخص بعضهم حالة النزلاء هذه في مثل هذا الفندق بالقول: («لا يعلم أي نزيل في هذا الفندق كيف وصل إليه، ولا أحد يعرف متى يمكنه أن يرحل عنه، ولا إلى أي جهة سيذهب»). غير أن الفارق العظيم بين الأجواء الكافكوية وأجواء هذا الفندق هو أن شخصيات (كافكا) تعاني من الرعب والاكتئاب والهلع من المجهول، وتكون وحيدة في أماكن غريبة، أما شخصيات (شميت) في (فندق العالمين) فيأتون إلى هذا الفندق وهم لا يعلمون من أين أتوا، ولا أين هم، ولذا نجد أول نزيل يخرج من المصعد، في

أول المسرحية، يتطلع حواليه بدهشة، ويسأل بصوت عال واستغراب شديد: (أين أنا؟!..)، إلا أنهم يُستقبَلون بكل احترام، ويجدون قاعة الاستقبال فيه جميلة أنيقة نظيفة، وفيها أناس لطفاء، يتناقشون ويتجادلون بكل حرية ودفء، ويسود بينهم المرح أحيانا، ويكونون في جماعة.. ويتعاطف بعضهم مع بعض أحيانا.. ولكن مشكلتهم الأساسية هي سأم الانتظار..

إن نزلاء الفندق جميعا ينتظرون.. ولكن ماذا ينتظرون؟ ولِمَ ينتظرون؟

كان الضغط النفسي عليهم أنهم لا يدرون مَنْ منهم سيفاجأ بأمر الخروج من الفندق بين لحظة وأخرى.. وقد أتاحت لهم فترة الانتظار ظهور حب الفضول لدى انفتاح باب المصعد الذي يفضي مباشرة إلى قاعة الاستقبال في الفندق، فكان الجميع يتنبهون، ويديرون أنظارهم نحو المصعد حين يسمعون صوتا يشبه رياحا عاصفة شديدة، ويرون ضوءه يعمل.. ويتوقف الضجيج الذي يحدثه المصعد حين يتوقف وينفتح بابه.. ليخرج منه قادم جديد ينضم إليهم.. والمصعد هو المنفذ الوحيد للدخول إلى الفندق والخروج منه، ويستحيل الخروج من نوافذ الفندق، لأن (جوليان) حاول فتحها وتحطيمها للخروج فلم يستطع، لأن نوافذه محصنة، ولذا تساءل: («هل أوجد في سجن أم ماذا؟.. هذا مكان غير حقيقي!..»). وقد أكد له (المنجم) حقيقة مرة تتعلق بهذا المكان الغريب، فقال: («إنك لم تدخل إليه برغبتك، ولن تخرج منه طوعا!..»): فكيف وقع هذا؟ إنه لغز آخر من ألغاز هذا المكان. ثم إن هذا المصعد لا يُفتَح بابه، ولا يُغلَق، إلا إذا أُحضِر شخص إلى الفندق، أو تقرَّر من جهةٍ ما الأمرُ بإخراج شخص ما، وتقوم الدكتورة

(S) بإخطاره وتوصله إلى بابه، وعندما يُغلَق مصراعا المصعد يشير المؤشر الضوئي إلى هبوط ذلك الشخص أو صعوده فيه.. لماذا يهبط المصعد به ولماذا يصعد؟ هذا لغز من ألغاز المسرحية.. ولسوف يتكشَّف بالتدريج عبر تطور المسرحية التي تعتمد على المحاورة والنقاش وتخلو تماما من الأحداث، وليس فيها عقدة ولا حل، وإنما عرض مستمر متصل في مشهد واحد لا يتغير..

حاول (جوليان) القادم الأول، بعد بدء العرض، أن يجد سبيلا للخروج، فأخفق وأصابه اليأس، فتحدث عن المكان حديثا كافكويا خالصا بقوله: («لا أعرف جيدا ماذا أفعل هنا، لا أتذكر أنني حَجَزتُ غرفة في هذا الفندق.. ورغم ذلك وجدت اسمي مدونا في السِّجِلّ عندما وصلت.. أين نحن بالتحديد؟..»)، فيجيبه (المنجم)، وهو أحد النزلاء: («لا أعرف شيئا!..»)، مع أنه مقيم في هذا الفندق منذ ستة شهور، وهو أقدم النزلاء جميعا.. فما هذا الغموض؟.. وما هذا الجهل بالمكان؟.. ويَسأل أيضا النزلاءَ الثلاثة قبله عن اسم هذا الفندق، فلا يجيبه أحد منهم بشيء، لا لأنهم يعلمون الاسم و يريدون إخفاءه عنه.. بل لأنهم حقا لا يعلمون ما اسمه.. وهذا لغز غامض من ألغاز المكان.

كما أتاحت لهم فترة الانتظار هذه أن يثيروا في نقاشاتهم مواضيع وأفكارا وقضايا كثيرة جدا، حتى ليمكن القول إن هذه المسرحية كانت مسرحية أفكار وفلسفة وتساؤلات حول حياة الإنسان وموته ومصيره بعد الموت، كما تمس العلاقات الإيجابية والسلبية بين الناس في المجتمع.

شخصيات المسرحية تتكون من:

1) ثلاثة أشخاص يعملون فيه هم:

أ- الدكتورة (S) (وبعض عروض المسرحية كانت تجعلها دكتورا، ومن يجعلها دكتورة يستغلّ التلاعب بلفظ كلمتي (دكتور+ s) معا حيث يصبح النطق بهما (docteuresse) أي (دكتورة) بمعنى (طبيبة)، وهذه الطبيبة تحمل دفترا يحتوي على معلومات وافية عن كل نزيل، والنزلاء يلاحقونها بالأسئلة كلما ظهرت لهم في قاعة الاستقبال، أو مرت بهم، أو فرغت من الحديث مع واحد منهم كانت تستدعيه بالاسم.

ب- شاب وشابة يرتديان طوال العرض لباسا أبيض بوصفهما مساعدين للطبيبة ويقومان ببعض الأعمال الفندقية، كإرشاد النزلاء إلى غرفهم، ولكن ذلك كله يتم بصمت وبالإشارة فقط.

2) ثلاثة نزلاء موجودون في أول العرض هم:

أ- الساحر أو المنجم (راجابور) Radjapour، وهو يرتدي لباسا وعمامة هنديين.

ب- الرئيس (دلبيك) Delbec، وهو رئيس لثلاث شركات كبيرة.

ج- (ماري) Marie، وهي خادمة تعمل في البيوت.

3) اثنان يدخلان، كل على حدة، من خلال المصعد، الأول بعد بدء العرض، والثاني في وسطه تقريبا، وهما على التوالي:



أ- (جوليان) Julien، وهو صحفي في نحو الأربعين من العمر، ومدير تحرير لصحيفة رياضية.

ب- (لورا) Laura، وهي شابة جميلة ضعيفة البنية قعيدة كرسي متحرك وذات قلب ضعيف.

يتميز كل من يدخل هذا المكان بعكس صفاته خارجه: فالمعاق يكون صحيحا تماما، والمريض معافى، والكسير سليما، والكذاب صادقا، وفيه يستعيد فاقدو بعض أعضائهم تلك الأعضاء. إنه مكان غريب ومن طراز فريد. الكل في هذا الفندق يريدون كل شيء مثاليا خارج الفندق، مع أنهم كانوا بشرا آثمين وخطائين هنالك، يكثرون من النصب والغش والتدليس والمغامرات.. فهل هذا الفندق مَطْهَرٌ يتطهر فيه الناس من أغلاطهم وانحرافاتهم؟ وأين يقع هذا الفندق بالضبط؟ هل هو على الأرض أم في السماء أو بينهما؟.. هل نحن هنا في حلم أم في علم؟.. في واقع أم خيال؟.. يكتنف الغموض كل الإجابات عن هذه الأسئلة عموما.. وهذا لغز من ألغاز هذا المكان..

في الفندق ممران يفضي كل منهما إلى جناح: الممر الأيمن أمام المشاهد - أو على يسار الخارج من المصعد - وضع للدلالة عليه حرف (A) ولكن بشكل (Λ)، وهو أيضا علامة الصعود عادة في المصاعد، ووضع على الممر الأيسر أمام المشاهد - أو على يمين الخارج من المصعد - حرف (V)، وهو أيضا علامة النزول في المصاعد. وعندما يصل أحد النزلاء يُقاد إما إلى الجناح الأيمن، وإما إلى الأيسر. وقد فوجئ (جوليان)، مثلا، بعد خروجه

من المصعد بأن موظف الاستقبال قاده إلى جناح الحرف (V)، وقد أثار النزلاء دهشة (جوليان) هذا عندما سألوه، بكل بساطة، عما إذا كان قد أصيب بحادث سيارة، فأجابهم بالنفي، وهو لا يعلم سر هذا السؤال.. فما السر الذي يقف وراء هذا الفرز للزبائن؟.. إنه لغز آخر من ألغاز هذا المكان الفريد.. ويذكر (الرئيس) أنه أمس قد اعترض راكب دراجة مخالفا للقانون، لأنه يسير بها فوق الرصيف، فصدمه وارتطمت جمجمته بزاوية مقعد حجري، إلا أنه يبدو أمام (جوليان) صحيحا معافى.. ويذكر (المنجم) أنه أصيب ولا يزال بغيبوبة السكري، غير أنه يبدو سليما تماما أيضا أمام (جوليان)، وأما الخادمة (ماري) فتقول إنها مصابة بنوبة قلبية وهي تحت أجهزة الإنعاش المركز، إلا أنها تبدو بصحة جيدة وتثرثر وتتحرك أمام (جوليان).. وقد استنتج من كل ذلك أنه في جو مريب، فقال: («لقد تواجدتُ بين مجانين!.. ولن أبقى هنا ثانيةً واحدة زيادة!..»)، وذلك لأن ما سمعه ورآه يشكل لغزا غامضا أيضا ويثير الفضول.. والحقيقة أن (الاستسلام للغموض هو موضوع هذه المسرحية)، كما كتب عنها المؤلف (شميت) نفسه، ولكن أي غموض؟ إننا لم نلمس – في قراءاتنا المختلفة عن (شميت) – أي إشارة إلى (كافكا)، مبدع الغموض في السرديات الحديثة، إلا أننا لا نستبعد عن المؤلف، القارئ النهم، أن يكون قد قرأ أعماله جميعا وتأثر بها؟ وإذا كان الغموض الكافكوي يمس الحالة الوجودية للإنسان، فإن الغموض (الشُّمَيْتِيّ)، هنا، غموض مصيري يمتد إلى (الميتافيزيقا).

تخبر الدكتورة (S) (جوليان) – من خلال المعلومات المدونة في سِجِلّها – أنه قبل ساعة كان يقود سيارته بسرعة جنونية (200كم/سا)، فدخل في

شجرة، وتذكر له كيف حضرت سيارة إسعاف لتنقله إلى مشفى (ديكارت) وهو مكسور الركبتين، محطم الأضلاع، ومغمى عليه، وكيف بذل الفريق الطبي ما في وسعه لمعالجته.. وتضيف قولها إن كل نزلاء الفندق (يعيشون على الأرض وضعية صعبة جدا.. وضعية تسمونها هنالك الغيبوبة coma، وهي وضعية بين الحياة والموت)، وهنا تبدأ بعض ألغاز هذا المكان تتوضح: فالنزلاء هنا ليسوا على الأرض، وهم في هذا الفندق أشبه بصورة وهمية لحالتهم قبل الإصابة بأي حادث ولا يشعرون بأي ألم، ولا يبدو هذا الفندق على الأرض أيضا، وهم جميعا في حالة غيبوبة هناك (يسهر عليهم أطباء وممرضون أو عائلاتهم): فأين هم إذن؟.. وتذكرنا هذه الحالة بازدواجية صورة الإنسان في فلسفة أفلاطون، ولكنها صورة بعكس ما يصورها (شميت) في هذا الفندق، حيث يرى أفلاطون أن وجود الإنسان الواقعي على الأرض إنما هو انعكاس لصورته المثالية في السماء، والأخيرة هي الحقيقية، تماما كما تبدو صورته في المرآة انعكاسا للحقيقة، مع أنها صورة غير حقيقية، وغير ملموسة.

ثم توضح له الدكتورة (S) أكثر، فتقول: («جسدُك المثخن بالجروح يوجد في غرفة الإنعاش، وأنت هنا في حالة انتظار..»).. يسألها: («أنتظر ماذا؟..»)، فتكشف له عن سر المصعد، فتقول: («أن يتقرَّر مصيرك: إما أن تنجو فينزلك المصعد إلى الأرض.. وإما أن نخفق في إنعاشك فيحملك إلى الأعلى»).. إذن لا يكون للنزيل في هذا الفندق خروج منه إلا بتقرير النهاية التي تصل إليها جهود الأطباء والمسعفين على الجسد الحقيقي على الأرض: فإن مات المصاب وضع النزيل في المصعد وأرسل إلى الأعلى.. ولكن

ما هذا الأعلى.. أهو السماء؟ أهو المقر الأخير والمصير الذي سيرسل إليه الطائعون أو الآثمون؟ أما إذا شفي فإن المصعد ينزل به إلى الأرض.. وكأن هذه الشخصيات التي تتحرك في هذا الفندق أرواح: تتحدر - في حالة الشفاء - إلى الجسد على الأرض وتتحد فيه، أو تنفصل عنه وتذهب لمستقر لها في السماء..

السرعة الجنونية التي قاد بها (جوليان) سيارته إنما هي رمز للسمة التي ميزت العصر الحديث، ووُصِف بها، وهي أنه (عصر السرعة)، هذه السرعة التي أنتجتها التقنياتُ الحديثة من قطاراتٍ وسفن بخار.. وسفن ذرية، ومن سياراتٍ وطائرات وسفن فضاء وصواريخ، وهذه السمة الحركية، تلتها وعززتها السمة (الجغرافية- المعلوماتية) التي أنتجها تطور وسائل التواصل والاتصال المختلفة، حتى استحق العالم أن يوصف، في زمننا المعاصر، بأنه (قرية صغيرة) توضع تحت أصابع كل إنسان على وجه الأرض وأمام عينيه. إن انتشار عدوى السرعة زاد وتيرة التنافس والتزاحم المحموم بين الناس، بل بين الأمم، على الموارد والثروات، وزاد سُعارُ هذا التنافس من قلق الإنسان وهمومه، وأفقده القدرة على الصبر، ومحا من الوجود طمأنينة النفس التي كانت القناعة فيها هي الكنز المستور عن أنظار الناس، حتى قال الإمام الشافعي في أثرها العميق:

إذا ما كنتَ ذا قلبٍ قَنُوعٍ فأنتَ ومالكُ الدنيا سَواءُ

كما أن سُعار التنافس هذا أفقد الإنسان القدرة على الإحساس بآلام الإنسانية ومعاناة البشرية ومآسيها التي نراها اليوم من حولنا كل ساعة على شاشات التلفزة و وسائل الإعلام المختلفة، فلا يبالي بها أحدٌ، لأن القيم

والمعايير الإنسانية والأخلاق لم تعد تهمه، ولم يعد - فيما يبدو - يقيم لها وزنا، وكأنما المادة وحدها أصبحت هي المسيطر الوحيد الذي يسحق بثقله هذا الإنسان المعاصر..

إن (الأنغواس) أي (القلق) - كما يستنتج المرء من دروس المسرحية وعِبَرها - هو مرض العصر الحديث، ولقد كشف لنا المؤلف - سواء عن وعي أو عدم وعي - الدواءَ الناجع لهذا المرض، الذي يمكننا أن نعده بؤرة الأمراض النفسية والعضوية في حياتنا المعاصرة، وهو دواء قديم في حضارتنا العربية وعقيدتنا الإسلامية، ألا وهو (طمأنينة النفس)، وذلك من خلال عبارة ساقها في مسرحيته وذكر رأي الناس فيها قائلا في مقال كتبه في إحدى الصحف: («كم أنا سعيدٌ، منذ إبداع هذه المسرحية، لأن الناس لا يكفون عن إيقافي في الشارع، أو في المطعم، ويمسكون ذراعي، ويهمسون في أذني تلك العبارة التي يحفظونها عن ظهر قلب: «الطمأنينةُ شُعْلَةٌ صغيرة لا تُضيءُ شيئا.. ولكنها تُدْفِئ»).

وتطرح المسرحية قضية سيادة القانون الذي ينظم حياة الناس ويبتعد بها عن الفوضى التي قد تدمر مجتمعه وتهلكه، ويأكل القوي فيه الضعيف (كما في مجتمع الغابات)، ويبتلع الكبير الصغير (كما في مجتمع البحار)، وتثير مسألة الالتزام به وإطاعته والعمل به، من خلال الحادثة التي أوصلت (الرئيس) في هذه المسرحية إلى هذا الفندق، وهي محاولته الاعتراض على مخالفة راكب دراجة مخالف للقانون، لأنه كان يسير بها في سرعة على الرصيف المخصص للمشاة من أطفال ونساء ورجال، فكانت النتيجة أن الدراجة صدمته، فارتطم رأسه من الخلف بزاوية مقعد حجري، فأصيب

بنزيف وارتجاج في الدماغ وغيبوبة أدت بجسده في الأرض إلى غرفة الإنعاش، وأدت - في الوقت نفسه - بما يمكن تسميته هنا بـ (طيف روحه) إلى فندق العالمين هذا.. ويظهر ذلك أنْ ليس هنالك احترام في عالمنا المعاصر للقانون، بل حتى لأبي القوانين، إذا ما استطاع الإنسان اليوم أن يخالفهما من غير أن يشعر به هذا القانون أو يتنبه عليه الساهرون على تنفيذه.. وينطبق ذلك على كل مستويات ما يسمى الإنسان في المجتمع عبر درجات سلم المسؤوليات كلها.. وبلا استثناء.. والشواهد لا تحصى في العوالم الثلاثة..

وما الذي أدى بـ (ماري) إلى هذا الفندق سوى ضغوط الحياة، وهموم الأولاد، وظروف العمل المرهق التي جلبت لها جميعا تلك النوبة القلبية التي جعلت جسدها في غرفة الإنعاش وطيفَ روحها في هذا الفندق الغريب.. فندق الانتظار؟..

ثم تحل الدكتورة (S) لـ (جوليان) لغز الحرفين الدالين على الممرين حين يسألها عنهما، فتقول إن ممر الحرف (Λ) لأصحاب حوادث السيارات، وممر الحرف (V) للمنتحرين.. وهنا يحتج (جوليان) على الدكتورة لوضعها إياه مع فئة المنتحرين في الجناح من الفندق، لا مع أصحاب حوادث السيارات، مع أنه جاء إليه إثر حادث سيارة.. غير أن الدكتورة تثبت له أنه منهم، وتسرد له قائمة من مسببات الانتحار البطيء أو طويل الأمد، الذي لا يختلف كثيرا عن الانتحار الفوري، من مثل: الكحول، والمخدرات الخفيفة والثقيلة، والتهرب من المسؤوليات التي تسبب تداعي الأعمال، وتخص الكحول بالقول إنه (انتحار الجبناء). غير أننا نتساءل: لماذا حصرت



الحوادث بالسيارات مع أن أشكال الحوادث وأسبابها، على وجه الأرض، لا حصر لها؟ كما نتساءل: لِمَ خُصَّ المنتحرون بممر لهم دون غيرهم؟ لا توجد إجابة مقنعة عن السؤال الأول سوى أن هذه الحوادث رمز لسائر الحوادث بمختلف أشكالها ومسبباتها.. غير أننا قد ندخل، هنا، عنصر الإرادة، لأن السرعة الزائدة غالبا ما تكون خِيارا إنسانيا. أما المنتحرون فالأغلب أن المقصود بهم أصحاب محاولات الانتحار الذين يتم إسعافهم، ويوضعون تحت العلاج أو العناية المشددة، بحسب الحالة، ويكونون بين الموت والحياة، وليسوا هم المنتحرين الذين نجحوا في مفارقة الحياة مباشرة، بدليل أن النزلاء في الفندق كانوا ينتظرون تقرير مصيرهم ما بين النجاة والعودة إلى الحياة أو الموت والرحيل إلى أعلى.. وفي الانتحار أيضا تلعب الإرادة دورها..

يحس المحلِّل من تعبيرين تفوهت بهما الدكتورة (S)، وهي تحاور (جوليان)، وهما قولها عن أجساد النزلاء في غرف الإنعاش على الأرض (هم في وضعية صعبة تسمونها [أنتم] هناك الغيبوبة)، وقولها له عن الوضع الذي تؤول إليه أجسادهم إذا صعد المصعد إلى أعلى إنه (ما تطلقون عليه أنتم: الموت!..)، وكأن هذه الدكتورة في القولين خارج نطاق (الأنتم)، أي أنها ليست كائنا بشريا، وهذا يضيف لغزا آخر إلى ألغاز هذه المسرحية التي مرت بنا.. إلا أن الفارق أن طبيعة الدكتورة، من هذه الناحية، لن تتكشَّف لنا نهائيا في المسرحية، ويمكن أن نضم إليها طبيعة الشاب والشابة الصامتين طيلة المسرحية والمعاونين لها في الفندق.. وقد سئل المؤلِّف (شميت) نفسه عن حقيقة هذه الدكتورة وبعض الجوانب الأخرى، فقال بصراحة: («أنا

أيضا طرحتُ على نفسي جميع الأسئلة التي طُرِحت عليّ، فلم أكن قادرا على الإجابة عنها جميعا!..»). وقد عد هذه الطبيبة التي كانت تنظم في الفندق دخول النزلاء وخروجهم، الوسيطَ عادة بين الموت وبيننا كسائر الأطباء. وقدمت الممثلة (فرانسين برجيه) Francine Bergé، التي جسدت دور الدكتورة (S) في المسرحية، لـ (شميت)، تفسيرها الخاص المدهش لهذه الشخصية، وهو أنها تمثل المؤلف (شميت) نفسه، رابطة بين الحرف (S)، وأول حرف من اسمه (Schmitt)، وهو الذي كان يحتفظ بملفاتهم، ويرفض أن يطلعهم على كل ما يعرفه عنهم، ولكن سلطته محصورة بهذا الفندق فقط.

يجلس بعض النزلاء مع بعض أحيانا ويثيرون نقاشا حول مسائل اجتماعية عامة وعاطفية، وحول مسائل جدلية خاضت فيها الأديان والفلسفات وحار فيها المفكرون، واتفقوا أو اختلفوا، ولنذكر أبرز ما سلطوا عليه الأضواء ووقفوا عليه منها مثلا (قضية الحق أو الحقيقة بمعنى الصواب واليقين)، فقد ناقش (المنجم) و(الرئيس) - في بداية المسرحية - هذه القضية لينتهي الرئيس إلى القول: (إما أنت على حق وأنا على خطأ، وإما أنا على حق وأنت على خطأ)، فيعقب (المنجم) على ذلك بتشبيه الحقيقة بالمرأة المتزوجة التي لا يمكن تقاسمها.

وأما المساواة، فينتقد الرئيس هذه المساواة بين الناس، ويصفها بأنها (جُذامٌ جمهوري تسرَّب إلى كل مكان، فلم نعد نميِّز شخصا من شخص، أصبحت قيمة الإنسان بلا أهمية)، لأنهم جميعا يصبحون نسخة واحدة، فيرد عليه (المنجم): (ما يصنع قيمة الإنسان هو أنه إنسان فقط).



ويفتح (المنجم) مع (جوليان) نقاشا في قضية الغنى والفقر ووجود مشاكل عند الأغنياء، مع أن كل شيء متوافر لهم وفي متناولهم، ثم يفلسف هذا الموضوع بالقول: إن توافر كل شيء للغني لا يجعله متحمسا للمعارك (أما نحن، الطبقاتِ المسحوقةَ، فإن ما يجعل العالم شهيا - بالنسبة لنا - هو الأشياء التي لا نملكها.. وتكون الحياة جميلة عندما تكون فوق إمكانياتنا وقدراتنا)، وهذا يعني تعزيز فكرة وجود المشاكل في حياة الأغنياء، لأنهم لا يشعرون حقيقة بجمال الحياة ما داموا يمتلكونها أو يمتلكون وسائلها.. وهذا يؤكد المقولة المعروفة وهي أن السعي إلى السعادة أسعد من الوصول إليها والحصول عليها، أو السعي إلى الهدف عموما أمتع من الحصول عليه.

وكانت (قضية الموت)، التي شغلت بال البشرية قرونا، وحار بكنهها كبار الفلاسفة والمفكرين، موضوعا من مواضيع نقاش نزلاء الفندق، لأن الإنسان الذي ذاق حلاوة الحياة وربما شَرِق بمُرِّها أيضا يحب البقاء والاستمرار فيها لولا خذلان الجسد لهذا الحب في نهاية المطاف، وقد سأل (جوليان) النزلاء: (أنْ يكون الإنسان فيلسوفا هل هذا يمنع من الموت؟..). فأجابته (ماري): (لا، ولكن قد يساعد على الحياة!..). وتقول عن الموت إنه (الشيء الوحيد الذي لا نعرفه.. بالكاد نسمع عنه)، لأن الميت وحده الذي يعرف تجربة الموت، ولا يستطيع أن يخبر أحدا بسرها، ولذا قالت (ماري): (إن أحدا لم يعد أبدا بعد أن مات)، وهي تعني: ليخبرنا عن هذه التجربة الوحيدة التي يلفها الغموض المطلق في حياة البشرية. ويعبِّر (جوليان) عن (الفلسفة العَدَمية) التي كانت تتحكم في تصرفاته وتصوراته قبل المجيء إلى هذا الفندق، ردا على قول (ماري) له: (أنت.. تؤمن بأنه ما من شيء في

الأعلى!..)، فيقول: (بالطبع!.. لو لم أكن قلقا ومشغولا بفكرة العدم، لكنتُ قد تمسَّكتُ بالأشياء.. وبالناس أيضا.. لأنني عندما كنتُ أبدأ مشروعا كنت دائما أقول لنفسي: ما الفائدة؟..)، لأنه كان فاقدا الأمل في المصير، وهذا يفسر لنا إخفاق كل مشاريعه أو سبب إهمالها وتداعيها، وعدم شعوره بالمسؤولية، وسبب تصوره أن كل شيء حوله إنما هو عبثٌ في عبثٍ.. وكان يقول لنفسه: (كلُّ شيء سيتلاشى ذات يوم.. وثمة يدٌ بداخلي تمنعني من الدخول إلى الحياة.. كانت تلك اليد هي فكرة الموت)، ثم يلوم التربية التي تلقاها بقوله: (لو أنهم أكدوا لي أن هناك حياةً بعد الموت، لكنتُ تغيَّرتُ بكل تأكيد)، إن استنتاجه الأخير انتصارٌ لكل الديانات السماوية، لأن غايتها النبيلة إنما هي فتح باب الأمل أمام الإنسان، وإشعاره بقيمته وبقيمة الحياة من حوله، حتى يقدرها ويحترمها، ويشعر بمسؤولياته تجاهَها. وتبيِّن (ماري) لـ (جوليان) أنها تلقت في صغرها أن هنالك حياة بعد الموت، فيرد عليها بقوله: (تعلمين تماما أن الموت هو النهاية)، ويذكرنا هذا بالعقيدة الدهرية حين كان مشركو مكة أيام الدعوة يقولون: [ما هي إلا حياتُنا الدنيا نموت ونحيا وما يُهْلِكُنا إلا الدهرُ] (القرآن، 45/من الآية 24). وقد سأل (المنجمُ) (الرئيس) عما سيحدث بعد الموت، فأجابه بما يدل على الإيمان بيوم الحساب قائلا: (ستصعدون إلى السماء لتحاسبوا عن أفعالكم في الأرض.. أي طفل صغير سيقول لكم هذا الكلام..).

ويرتبط اعتقاد الدهري بأن الموت نهاية المطاف بالنزعات المادية التي ظهرت في القرنين 19و20 الماضيين، والتطاحن بين الإمبراطوريات والأمم في الحروب الدولية والإقليمية على المصالح المادية، إضافة إلى الازدواجية،

أو انفصام الشخصية، حتى عند المؤمنين بالآخرة ممن غلبت عليهم هذه النزعات، مع إظهارهم الإيمان الشكلي. ولذا أقبل الناس على الملذات والمتع والثروات وممارسة كل أنواع الآثام وانغمسوا في لجج الحرام، لأنهم يريدون أن يتشبعوا بها قبل حصول الموت، وكان ذلك وراء كل مصائب البشرية في القرنين المذكورين وفي العقدين الأولين من القرن 21. وقد تجلى ذلك في المسرحية من خلال تعجل أفراد أسرة (الرئيس) تقاسم ثروته وشركاته قبل أن يتقرر مصيره النهائي في غيبوبته، وقد كان نزيلُ الفندق يملك القدرة، إذا صعد إلى غرفته، ووضع يديه على أذنيه، أن يسمع أحاديث من يحيطون بسريره في المشفى على الأرض، وقد نزل (الرئيس) بعد سماعه أحاديث زوجته وأولاده، وهم ملتفون حول سريره، إلى زملائه في قاعة الاستقبال، وهو يتأفف، ويقول: (لم أعد أحتمل أحاديثهم)، فتسأله (ماري) عن الشيء الذي أثار غضبه فيها؟ فيقول: (عن أي شيء سيتحدثون؟!.. عن المال وعن بيع كل شيء!..) وهم (يتفاوضون حول كيفية تبديد أموالي). وينطبق على هؤلاء الورثة حديث النبي الكريم: (يَتْبَع الميِّتَ إلى قبره ثلاثةٌ..). ويعترف (الرئيس) لزملائه بأنه ترك لأسرته ثروة كبيرة، بينما تعترف (ماري) بأنها التهمت كل شيء، ويعترف (المنجم) بأنه لم يكن يطيق رؤية محفظة مملوءة، وأنه كان يصرف بلا هوادة. ويستغرب المرء، بعد ذلك، اعتراف (الرئيس) بسر غنى الأغنياء في رأيه، مع أنه منهم، بالقول: (على أي حال.. لا يمكن للمرء أن يكون ثريا إلا لو كان غيرَ شريف)، ولعله يقصد الثراء الفاحش طبعا. عندما أشار (الرئيس) إلى ساعة الحساب، سأله (المنجم) ساخرا من ألاعيبه المالية، وحساباته السرية هنا وهناك، والتهريب، والتلاعب

بالفواتير.. فقال: (ألا تخشى من ساعة الحساب؟!..)، فعد (الرئيس) هذه التجاوزات التي أكل بها حقوق الآخرين (أخطاءً طفيفة)، فقال (جوليان) ساخرا منه: (إنه يسامح نفسَه!..)، وهنا يفلسف (المنجم) مسألة المسامحة أو الغفران، والاعتراف بالخطيئة، والتوبة، فيقول: (كنتُ دائما أعتقد أن الأشخاص الذين يعترفون بخطاياهم يطوِّرون وعيا أخلاقيا، كي يكُفُّوا عنها.. لكن هناك مَنْ يعترف كي يتخلَّص من خطاياه.. ثم يعاود الكرة!..).

ثم نجد قضية الحب تبدأ بطرح نفسها في المسرحية عندما يُسمع صوت المصعد ويومض ضوؤه، ويفتح بابه و(تظهر فتاة شقراء جميلة.. تترجل بخفة من المصعد تبتسم للنزلاء والمستخدمين)، وهي الشابة (لورا) خامسة النزلاء، فيبدو (جوليان) مفتونا بما يرى، وبعد أن تحيِّي الجميع ويتعرفون عليها، يقدم لها (المنجمُ) (جوليان)، فتنظر إليه باهتمام، فتكون ردة فعله أنه ينظر فجأة في اتجاه آخر (كي يقطع طوعا أثر السحر). ويتبين للنزلاء أن (لورا) تحضر إلى هنا للمرة الثانية، وكادت قبل المرتين أن تصل بالمصعد إلى الفندق إلا أنها هبطت فيه لأنها أفاقت من إغماءة مؤقتة لم تصل بها إلى حد الغيبوبة.. ويتضح أن قلبها على الأرض معطوب وتحتاج إلى زراعة قلب من شخص يموت حديثا، كما كانت مقعدة على كرسي متحرك.. وبعد قليل تنفرد الدكتورة بـ (جوليان) وتخبره عن حالته الصحية في المشفى قائلة: (للتو دخلتَ غرفة العمليات.. اكتشف الفريق الطبي نزفا داخليا متعددا ..).. (أنت تمرّ بلحظاتٍ عصيبة!..)، وتنصرف، ويسأل (جوليانُ) (لورا): (هل لديك فكرة عما يوجد فوق؟!..) يعني: في السماء.. وبعد قليل يرن جرس البهو بقوة ويومض ضوء المصعد، فتحضر الدكتورة بسرعة مع مساعديها،



وتقول لـ (جوليان): (جاء دورك!..)، فيشعر برعب شديد عندما تقول له: (اقترب من باب المصعد!..)، إن هذه اللحظة في الحقيقة هي ساعة الفراق وتقرير المصير، وهنا ينفتح سريعا باب الحوار بين (جوليان) و(لورا) التي شعر بانجذاب شديد إليها وأحبها، وكان عنده أمل أن يهبط به المصعد ويلتقي بها ليلازمها طيلة حياته، ولذا صب عليها جاما من الأسئلة عن عنوانها، وهواياتها، وقراءاتها، وقال لها: (لورا!.. أنت جميلة!..)، ثم كشف لها عن شعوره، قائلا: (إنني فجأة أحِسُّ أمامكِ بحمى خاطفة تمنحني الهواء والشهية والحماسة.. وأن أُبعِد الموت.. هذا غريب.. لم أعد خائفا). لقد غسل الحب قلب (جوليان) وجعله صاحب قضية هي (قضية الحب) التي أشعرته أيضا بالمسؤولية.. إنه تحول هائل عما كان طبعه عليه حين كانت له علاقات غرامية كثيرة وطيارة بسبب عدم مبالاته على الأرض قبل حضوره إلى هذا الفندق ورؤيته لـ (لورا).. إنه تطهير النفس من دنسها.. والعودة إلى عقلنة الحياة.. إن الحب، هنا، هو الذي انتزع من عقل (جوليان) تماما الخوف من الموت. وتكون المفاجأة العظيمة - أثناء هذا النقاش - حين تخبر الدكتورةُ (S) (جوليان) بأن الإنذار الخاص به كان إنذارا خاطئا.. وتقول له: (لا بد أن طارئا وقع خلال عمليتك الجراحية!..)، ثم تغادر.. فيفرح فرحة عارمة، وتبدي (لورا) تعلقها به، ويتعانقان، وعندها تمر الدكتورة بالبهو ثانية فتقول له: (قبل قليل كِدْتَ تغادر الغيبوبة)، أي أنه كان سيهبط بالمصعد إلى أسفل.. إلى الحياة. فيسألها عن حالة (لورا) فتذكر له: (يجب أن نعثر لها على قلب لنزرعه!..).. (يجب أن يموت شخص لكي تعيش.. خلال الساعات القادمة!..).

وينتقل الحديث بين الدكتورة (S) و(جوليان) ليتناول الفلسفتين (الجبرية) و(القَدَريّة)، أو الجبر والاختيار، أو التسيير والتخيير في حياة الإنسان على الأرض، وهما فلسفتان طالما شغلتا بال الفلاسفة والمفكرين، وتطرق إليها فقهاء الأديان المختلفة، وحتى بسطاء الناس، وتذكر الدكتورة (الموروثات، والأسرة، والمحيط الاجتماعي، والقرية، والبلد، واللغة، والعصر) لتقول لـ (جوليان): (كلٌ هذه الأشياء تميِّزكم، وتعزلُكم، وتجعلكم مختلفين)، والمسلَّم به أن هذه الأمور موضوعية، خارجة عن إرادة أي إنسان أو اختياره، فهي تدخل إذن ضمن نطاق فلسفة الجبر أو التسيير الإلهي أو الطبيعي، غير أن بالإمكان إدخالها ضمن إطار فكرة التكامل بدلا من الصراع استنادا إلى هذا الاختلاف، وهي تدخل في إطار التعاون على الحياة، أو المفهوم الذي طرحه الإسلام، وهو مفهوم (التعارف)، وأبسط دليل على ذلك أن أحدا لم يختر أن يكون ذكرا أو أنثى، فالإنسان مسيَّر في جنسه، غير أن بينهما اختلافَ تكاملٍ لا اختلاف صراعٍ. ثم تذكر الدكتورة وجه التماثل بين الناس، فتقول: (لكن شيئا وحيدا يجعلكم متماثلين هو أنكم أحرار، إنها الحرية!..)، وتذكر نماذج من الحرية.. أي: حرية الاختيار أو التصرف الإرادي من ذات الفرد، منها (حرية إهلاك الجسد، وقطع الشرايين، وعدم الشفاء من أحزان حب ضائع، والعيش في الماضي السحيق[1]، وأن يصبحوا أبطالا، ويتخذوا

(1) كما هو شأن كثير من الطوائف وأصحاب المعتقدات الذين تتحكم فيهم علاقات الناس من مئات السنين، وكأن تلك العلاقات قائمة حية اليوم، وكأن من كانت بينهم تلك العلاقات أعطوهم توكيلا بتحصيل الحقوق ممن لا شأن لهم بها من قريب أو بعيد، منسلخين عن الواقع المعاصر الذي فيه معايشهم وسعادتهم أو شقاؤهم، وفيه تكتب أعمالهم التي ينتظرون المسؤولية الفردية عنها. وهؤلاء يمكن أن نطلق عليهم اسم (التاريخانيين) Historcanicians.

قرارات خاطئة، وأن يفسدوا حياتهم، وأن يسرعوا إلى الموت، إلخ.)، وهذه جميعا أمور داخلة، كما هو واضح، في باب الاختيار لا الجبر.

يتوجه بعد ذلك (الرئيس) بسؤال إلى (جوليان) يكاد ينسف بناء المسرحية من جذوره، عندما يحاول حل لغز هذا الفندق، فيقول: (هل صدَّقتَ النظرية الصغيرة للمنجم راجابور حول المكان الذي نوجد فيه؟..)، وهي أن الفندق (مكان بين السماء والأرض، حيث ننتظر أن يتحدَّد مصيرنا: الحياة أو الموت.. بواسطة هذا المصعد.. إنه فندق بين عالمين!..)، فيجيبه بـ (نعم.. وحسب ظنك: أين نحن إذن؟..)، فقال: (في ملجا للمجانين!..)، ولما كان هذا رأيه في المكان، فقد اعترض على ترحيله، حين حضرت الدكتورة لتخبره أن دوره قد حان للرحيل عبر المصعد، وقد دفعه المساعدان داخله قسرا، بقوله: (إلى أي مكان تأخذونني؟.. سأشكوكم.. اتركوني أخرج.. النجدة!..)، ثم يُغلَق باب المصعد، ويشير السهم المضيء فوقه إلى أسفل.. بمعنى أنه تم شفاؤه وعودته من الغيبوبة التي كان عليها إلى الحياة ثانية، وبهذا يمكن أن يتدارك ما كان أهله ينوون فعله بثروته ومؤسساته، ولكن بعقلية جديدة غالبا. وتعلق الدكتورة على الأمر قائلة: (الحياة هدية تُمْنَح للجميع، والموت أيضا يُمْنَح للجميع!..).

وتنتقل (لورا) للحديث عن فلسفتها الخاصة بشأن (السعادة)، وهي القضية التي شغلت بال الناس قديما وحديثا وستظل تشغل بالهم مستقبلا أيضا، فتذكر أشياء بسيطة جدا في متناول جميع الناس تبعث غاية السعادة في نفسها، وتقول في مقطع رائع لو تم الأخذ به لدى الناس: (تُسْكِرني وردةٌ واحدة بدل يومٍ كامل من النزهة بين حدائق الأزهار.. ويمكن لشعاعٍ وحيدٍ

ينسلّ من بين فتحات الستارة أن يغمرني، كما لو أني أقضي يوما كاملا تحت شمسٍ شاطئية!..).. (وصوت الأمطار والعواصف، فوق السطح، يجعلني أجول بحارَ العالم مستكشفةً الإعصارَ والمركب المعرَّض للأمواج الهائلة..). إذن لا المال ولا السلطة ولا القصر ولا أي شيء آخر يمكن أن يصنع لنا السعادة، لأن احتساء فنجان شاي أمام شجيرة ياسمين مع سماع أغنية لفيروز مع الصباح قد تبعث السعادة في المرء طيلة النهار، وربما قراءة رواية أو مسرحية أو قصيدة شعر تفعل مثل ذلك وأكثر، إلخ. وتستخلص (لورا) من ثَمَّ أن (السعادة توجد بين أيدينا.. إن السعادة الكبيرة تتكون من تفاصيل صغيرة!..). وهذه النتيجة تظهر أن هذه السعادة في متناول كل الناس لو دققوا في بعض ما حولهم وفكروا فيه.

ويتصل حديث السعادة بقضية (التضحية) أو (الإيثار) بين الناس في المجتمع، وتبدو لنا هذه القيمة العظيمة من خلال إخبار الدكتورة (S) (المنجم) أن الفريق الطبي قرر أن يرفع أجهزة التنفس الصناعي عنه، ليأسهم من شفائه، وأن لا مفر من ذلك، ولكنهم ينتظرون الإذن من ابن أخيه المتبقي من العائلة، وهو يعرف حاجة (لورا) إلى قلبٍ سليم كقلبه، فأحب أن يهديها قلبه ليبقى نابضا في صدرها، وهو يعرف مدى تعلقها بـ (جوليان) وتعلقه بها، وكيف حولَّهما الحب العظيم إلى نموذج لعاشقين جميلين، إلى درجة أن (جوليان) قال للدكتورة أمام (المنجم)، وكأنها قادرة على تلبية رغبتهما: (نريد أن نعود إلى الأرض معا أو نصعد إلى الأعلى معا).. (لم أعد خائفا إلا من شيء واحد: أن أفقدها) ، ولما سأله (المنجم): (هل تظن بوجود شيء في الأعلى؟)، يصارحه بأن (لورا) بعثت في نفسه روح التفاؤل بوجوده، وأنه

يخاف الآن من الموت اقل من ذي قبل، ولما كانت المعجزات تمنح الإيمان، فإن (لورا) كانت معجزته، فالحب قاده إلى التسليم بالإيمان، غير أنه عبَّر عن أمنية يقول فيها: (ما جدوى أن نحيا حياة واحدة؟.. كان لا بد أن نعيش إلى الأبد!..). ولكن الدكتورة تعترض على أبدية الحياة على الأرض بقولها: (من الأفضل أن تبقى الأمور كما هي!..)، لأن أبدية الحياة عليها ستكون كارثة على الإنسان بكل المعايير، فالدنيا ممر، والحياة الآخرة هي المقر، وحياة الإنسان شطران: شطر للاختبار، وشطر للثواب أو العقاب بعد الحساب.. فليعمل الإنسان لنفسه أو يدع!.. إن (جوليان) يعترف بأنه مدين في تحوله هذا لـ (لورا)، ومن شدة تعلقه بها يدع (المنجم) والدكتورة ليصعد إليها قائلا: (سأكون غبيا إن قضيت مزيدا من الوقت بعيدا عنها). يحاول (المنجم) مع الدكتورة حتى تتدخل لتسريع فصل الأجهزة عنه في غرفة الإنعاش، وأن تخبر الأطباء كي ينقلوا قلبه إلى جسد (لورا) في الطابق الأسفل من المشفى نفسه، فترد عليه بقولها: (أنت تطلب مني شيئا ممنوعا).. و(أنت تقيم في المكان الذي لا تتواجد فيه الإرادة..).

تذكر (لورا) لـ (جوليان) - من خلال تجربتها السابقة - أن نزيل هذا الفندق ينسى كل ما حدث بمجرد عودته إلى الأرض، وأنهما لن يتعارفا على الأرض، إلا أنها تستدرك أنها تعلمت في الفندق رقصة (التانغو) على يد رجل عجوز يدعى (خوان) كان نزيلا فيه، إلا أنها نسيت ذلك على الأرض، ولكن جسدها ظل يتقن هذه الرقصة التي تعلمتها، لأن الوعي ينسى ما حدث في الفندق (لكن الجسد يحافظ على الأثر)، ولذا وضعت له قائمة من التمرينات ليتعرف أحدهما على الآخر، منها: وضع يديه حول خصرها، وشم رائحة شعرها، ومعرفة لون عينيها، وأخيرا تقبيلها. فإذا حصلت لهما

معا بهذا التدرج يعرف أحدهما صاحبه، ويكون لهما ما أرادا.

تنفرد الدكتورة في البهو مع مساعديها، حين يومض ضوء المصعد مُؤْذِنا برحيل (المنجم)، وتُدخله في المصعد، وتقول له: (قرر الفريق الطبي أن يزرع قلبك مكان قلب لورا!..)، فيجيبها: (شكرا!..)، ثم يغلق الباب ويشير السهم إلى الأعلى.

ثم تستدعي الدكتورةُ (لورا) لأن دورها قد حان، ويرافقها (جوليان) إلى باب المصعد ويحتضنها، ويومض السهم إلى أسفل، ويشكر (جوليان) الدكتورة لأنها أخبرته بما فعل (المنجم) قبل قليل، ولذا كان مطمئنا إلى مصير (لورا) حبيبته على أمل اللقاء بها على الأرض.

وعندما حان دور (جوليان) نفسه للرحيل من الفندق، سأل الدكتورة: (إذا كانت الحياة هبة.. فمن وهبنا إياها؟..)، فأجابته: (وهبك الله هدية الحياة.. ويجب أن تقبلها..)، (يجب أن تحافظ عليها..)، (وفي النهاية ان تسلمها لغيرك.. يجب أن تمنحها لمن يحيطون بك: الأبناء، الأفعال، الأعمال، الحب!..)، وتذكرنا هذه الوصية الرائعة بفلسفة الدكتور (ألبير شويتزر) التي أذاعها في العالم، وكانت موضوع مسرحية (إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر)[1] للكاتب الفرنسي (جيلبير سيزبرون) G. Cesbron، الا وهي (فلسفة احترام الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية) وإبعاد أي أذى عنها جميعا، لأن غاية الوجود الإنساني على الأرض - كما أراده الله تعالى - إنما هو استعمار هذه الأرض، أي (تنمية الحياة) لا وأدها، حتى إن حضارتنا العربية الإسلامية كانت حريصة كل الحرص حتى على الحفاظ على (حياة

(1) انظر هذه المسرحية في سلسلة (من المسرح العالمي)، عدد رقم 367، سبتمبر-اكتوبر لسنة 2013.



العمران)، وما علم الآثار الذي جعل جهده منصبا على الكشف عنها، والحفاظ عليها، وترميمها، إلا صورة للحفاظ على حياة العمران الماضية: فكيف بالحاضرة؟ وهكذا تزود (جوليان) بهذه الوصية، حتى إذا سُمِع الرنين ورُئِي وميض المصعد وقالت الدكتورة لـ (جوليان): (حان دورك!..)، وجدناه يسرع طوعا وبرغبة جامحة ويدخل في المصعد، وهو يقول: (غريب!.. حتى وإن كنتُ سأموت الآن.. فإني سأموت وأنا أشعر بسكينةٍ!..)، فتفسر له الدكتورة سبب ذلك بقولها: (إنها الطمأنينة!..)، وتضيف قولها الذي حفظه معظم من شاهد المسرحية أو قرأها كما مر بنا: (الإيمان شعلة صغيرة.. لا تنير شيئا.. ولكنها تبعث فينا الدفء!..).

وتأتي - في نهاية المسرحية - خاتمة غامضة لمصير (جوليان)، وذلك أن الوميض المضيء فوق المصعد يرتفع إلى درجة الضوء الأبيض الساطع.. ثم إلى مستوى الضوء الباهر اللامع الذي يغرِق الفندق كله بالنور، فلا يعلم المرء هل نزل به المصعد إلى الأسفل.. أي إلى الحياة على الأرض أم صعد به إلى الأعلى؟!.. وهذه النهاية الغامضة المفتوحة تبعث على الحزن إن فهمنا منها صعود (جوليان) إلى الأعلى.. أي موته وعدم تحقق أمانيه، وهي نهاية مأسوية على طريقة نهايات مسرحيات شيكسبير، ولكنها تبعث على البهجة والسرور إن فهمنا منها نزول المصعد إلى الأسفل.. حيث يتحقق الأمل الذي كان قد غرس الإيمانَ في قلب (جوليان)، كما تبدأ رحلته للبحث عن الحبيبة (لورا) في كل مكان.. وهي نهاية سعيدة.. وإن كان الغالب - في رأينا وحسب معطيات المسرحية - أنه صعد به إلى الأعلى..

أما أول الراحلين في المسرحية، وهو (ماري)، فقد ارتفع بها المصعد إلى

أعلى. وأما ثانيهم فكان (الرئيس) الذي نزل به إلى أسفل. وأما ثالثهم فكان (المنجم) الذي ارتفع به إلى أعلى.

يمكن الحكم على هذه المسرحية عموما بأنها أميل لأن توصف بالملهاة السوداء.. ربما لأن خيوط المأساة كانت تتخلل بعض مشاهدها، نظرا إلى طرحها بعض قضايا المصير أو الألم البشري على الأرض..

وهي تستغرق زمنا مطابقا تماما، في الظاهر، لزمن عرض المسرحية، أما الزمن الحقيقي فمجهول، قد يمتد أياما أو أسابيع أو أشهرا.. كما أن المسرحية ذات مشهد واحد لا يتغير فيه شيء سوى حركة الشخصيات.. ولم يقسّم المؤلف (شميت) مسرحيته فصولا، ولا يمكن إدخالها - في الوقت نفسه - ضمن إطار المسرحيات ذوات الفصل الواحد، لأن مثل هذه المسرحيات تكون عادة قصيرة قليلة عدد الصفحات، بخلاف هذه المسرحية المطولة. ولذا يمكن الحكم عليها من ناحية الزمن ومن ناحية الشكل ومن ناحية المشاهد بأنها نسيج وحدها.

كان فندق العالمين بمنزلة (المطهر) لمن كان نزيلا فيه، ومن ثم يعود إلى الحياة، وقد أكد هذه الفكرة المؤلف نفسه، حين قارن بين سمات شخصية (جوليان) قبل دخول الفندق وبعد دخوله، بقوله: (عندما وصل جوليان إلى هذا الفندق كان إنسانا من زماننا: كان متشائما، ماديا، قلِقا، يجري بسرعة مفرِطة، ويحب بسرعة مفرطة، ويفكر بسرعة مفرطة. وكان يملك جميع الأحكام المسبقة للتفكير المعاصر الجاهز: أي القناعات السلبية. وكان هذا العبءُ الفِكرَويّ [الإيديولوجي] يخنقه، ويمنعه من الحياة، ويضعه على مسافة من الكائنات والأشياء، ويحرِّره من التزاماته.. وقد قام هذا الانتظار

الإجباري [في الفندق]، واللقاءات التي تمت خلاله، والتأمُّل في مسألة المصير، بتحويله تحويلا جذريا، فرحل بعزيمة لم يكن يملكها عند وصوله إليه: إنها عزيمة الرضا وفضيلة الانتظار(..). إن الإنسان المعاصر يجري كالآلة بسرعة وراء متطلبات الحياة، فيستهلك أوقاته وجهوده وتفكيره، ولا يُتاح له وقتٌ للتأمُّل الكلي المحيط بنفسه ومجتمعه ومصيره، ولذا يتقبَّل بسهولة الأفكار الجاهزة والمعلَّبة والاستهلاكية التي تشيع في وسطه، ويراها مسلمات وقواعد تمثِّل الحقيقة، فيكون بذلك ضحية لطبيعة زمانه.

سئل المؤلف (شميت) عما أوحى إليه بفكرة هذه المسرحية: الفندق.. والمصعد.. والغيبوبة، وغير ذلك، فقال: (لن أصل إلى تذكُّر ذلك حتى لو اعتصرت تفكيري(..)، غير أنه يعود فيعطينا موادَّ أوليةً لمصدر الإلهام تبدأ من فكرة (الغيبوبة)، بقوله: (كنتُ أرى أقارب لي يرحلون من هذا المكان الغامض [يعني: الغيبوبة]: فبعضهم يعودون منه، وبعضهم لا يعودون.. وكانت تدهشني فرحةُ الناجين منهم، ومرحُهم، وشهيتُهم. وكنتُ أرى كم أصبحوا أناسا طيِّبين.. وكانوا يقرون على أنفسهم – وهم يضحكون – أنهم كانوا، قبل ذلك، أناسا سيِّئين في تصرفاتهم). ثم إنه فكَّر في سر هذا التحول الذي قلب أحوالهم نحو الأفضل، فوجد أن التَّمَاسَّ مع الموت هو الذي فتح أعينَهم.. وأشعرهم أن الحياة هديةٌ قيِّمة يتلقاها للمرة الثانية، فينبغي شكر من أهداها.. واحترامها واحترام حيوات الآخرين أيضا. وذكر (شميت) أيضا أنه، هو نفسه، قد مر بتجربتين أو حادثتين أشفى فيهما على الموت، وفي لحظة الإقبال على الموت كانت تسقط على نفسه سَكِيْنَةٌ غريبة، ويُنتَزَع منها الشعور بالقلق والخوف، وهو الذي كان يخاف جدا قبل ذلك

من العناكب، ومن أي ملاحظة مزعجة، ومن الوجوه الغامضة، ومن تبليغات الضرائب.

ولا بد أن نشير، أخيرا، إلى مسألة مهمة في طبيعة الكتابة واختيار المواضيع عند المؤلف (شميت)، من خلال إجابة في مقابلة صحفية مع (فرانسوا بوسنيل) F. Busnel، المذيع ومقدم البرامج في قناة (فرانس5) France 5، إذ يقول: (أنا لا أختار مواضيعي.. إنها تفرض نفسها علي.. حتى لو كانت تخيفني، لأنني لا أستطيع فعل شيء إزاءها سوى أن أتقبلها).. إنه كاتب ممتلئ بالأفكار الفلسفية، وعميق الثقافة بحكم نهمه في القراءة، وكونه أستاذ فلسفة، ولو لمدة قصيرة، في الجامعة، ولذا نبّهنا في هذه المسرحية على كثير من الأمور التي نمر بها عادة مرور الكرام، من غير توقف عندها، ولا تأمُّل فيها.. وكانت دعوته هنا مفتوحة ليراجع كل منا حساباته في هذه الحياة.. على مبدأ: حاسب نفسك قبل أن يأتيك الحساب.



(3)

أفكار فلسفية في المسرحية مطابقة لأشعار وحكم عربية

من عجيب ما لاحظناه في نص هذه المسرحية وجود أفكار فلسفية متطابقة بين ما كتبه (شميت) فيها وما ورد في أدبنا من أشعار وحكم، وسأوردها بالنص:

1 - يسأل (جوليانُ) (المنجم) فيقول: (وفي أي شيء ستفيد العلاقات الإنسانية مع أشخاص ربما لن تراهم أبدا مرة أخرى؟!..)، فيجيبه قائلا: (إذا أردت العلاقات الدائمة، فلتذهب لمحاورة الصخور والحجارة والجبال!..)، لأنها هي وحدها الأكثر قدرة على البقاء قياسا على حياة الإنسان القصيرة، وقد قال شاعرنا لبيد بن ربيعة العامري في وصف الزوال والبقاء والاجتماع والافتراق بين الناس:

بَلِينا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ ... وتَبْقَى الجبالُ بعدَنا والمصانِعُ
فلا جَزَعٌ إنْ فَرَّق الدهْرُ بينَنا ... وكلُّ فَتىً يوما به الدهرُ فاجِعُ
وما الناسُ إلا كالدِّيارِ وأهلِها ... بها يومَ حَلُّوها وغَدْوا بلاقِعُ

2 - تقول (ماري) مفلسفةً الغباء والذكاء وهي تتحدث عن شقائها وسعادة أختها: (على أي حال كنتُ أفضلَ لو كنتُ أكثر بلادةً وغباءً، كي لا أعِيَ ذلك.. كانت لديَّ أختٌ شديدةُ الغباء.. ما من شيء يُدهِشُها، أو يجعلها تتوقَّف [عن الكلام]... أما أنا فذكية بما يكفي كي أكون معذَّبة)، وهذا هو فحوى فلسفة المتنبي في قوله:

ذو العَقْلِ يَشْقَى في النعيمِ بعقلِه ... وأخو الجهالة في الشَّقاوة يَنْعَمُ

وفي قول (ماري) تطابق مع الحكمة المأثورة عند العرب: (من ضاق عقلُه عرُض أو اتسع لسانُه)، أي كثرت ثرثرته وكلامه على غير محصول مفيد.

3 - تقول (ماري) عن الموت وعدم رجوع أحد منه حتى يخبرنا بتجربته التي مر بها وماذا حصل له بعده: (الموت هو الشيء الوحيد الذي لا نعرفه.. إن أحدا لم يعُد أبدا بعد أن مات..)، وهذا شبيه بفكرة أبي نواس حين قال:

ما جاءَنا أَحَدٌ يُخبِرُ انه   في جَنَّةٍ مُذ ماتَ ام في نارِ

4 - يقول (جوليان) لـ (ماري) واصفا فلسفته العدمية التي كان عليها: (كنتُ.. أفكّر أن كل شيءٍ سيتلاشى ذات يوم..)، وقال لها أيضا: (تعرفين تماما أن الموت هو النهاية!..)، ويطابق هذا ما ذهب إليه أبو نواس أيضا حين قال:

يا سائلا في الدين: ما الأمرُ   لا قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندي من جميعِ الذي   تَذْكُرُ إلا الموتُ والقَبْرُ

ويذكرنا هذا بقول (بنجامين فرانكلين): (لا شيء يقينيا في هذا العالم إلا الموتُ والضرائب).

5 - تقول (لورا) لـ (جوليان): (أقرأ بنَهَمٍ كي أعيشَ الحيوات التي لن أستطيع عيشَها)، وهذا الأمر غاية من غايات الفن وخاصة الفن السردي، والسير، والمذكرات، والتراجم، والنبذ، والتاريخ، وهذا شبيه بما قاله أحد الشعراء العرب:

ومَنْ حَوَى التاريخَ في صَدْرِهِ   اضاف اعمارا الى عُمْرِهِ



أي أنه يعيش حيوات متعددة أو كثيرة بحسب ضيق قراءاته واتساعها، مستفيدا من تجارب الآخرين الذين قرأ عن حياتهم في عالم الحقيقة أو الخيال.

دمشق: الاثنين 2013/10/21

د. محمود المقداد



الترجمة

شخصيات المسرحية

- جوليان بورتال
- المنجم رادجابور
- الدكتورة س...
- الرئيس دلبيك
- لورا
- ماري
- شاب يرتدي لباسا أبيض (دور صامت)
- شابة ترتدي لباسا أبيض (دور صامت)
- الديكور موحد



المسرحية

قبل كل شيء، نسمع ضوضاء غريبة جدا، مثل تيار هواء هائل. هذه الريح، تعطي الانطباع أنها تملك قوة ابتلاع كل شيء في طريقها، وأن بإمكانها أن تحمل أي شيء على جناحيها العاصفين، بشرا، سفنا، أشجارا، بيوتا....

يتعاظم الهدير وينتفخ ويتحشرج، يدور بشكل لا يحتمل، ثم يختفي خلال ثوان.

على صوت هزيزه الأخير، نسمع ضوضاء مصعد يتوقف.

تضاء خشبة المسرح.

قاعة استقبال بفندق تتسم بالرفاهية.

رفاهية متحفظة، تحت أضواء خافتة واصطناعية.

تقدم هذه القاعة مقاعد وثيرة تقليدية، تحيط بموائد منخفضة. مكتب الاستقبال - شاغر حتى الآن.

قد يوزع الفندق نزلاءه المفترضين باتجاه ممرين يقودان إلى الغرف. الأول مكتوب فوقه حرف V والآخر حرف A .

عندما نرى المصعد يومض إلى الأسفل، فهو يشير إلى أن شخصا ما في طريقه للوصول. بعد رنين،

ينفتح على مصراعيه.
يظهر جوليان شاردا بعض الشيء، وكأنه مصدوم. رجل مازال شابا، يرتدي معطفا للمطر ظاهرا للعيان. يفرك رأسه بكفه. ويتكئ بالأخرى على حائط المصعد. بعد أن يفرك جبهته، يستجمع قواه ويعبر العتبة ببطء. يمشي بطريقة غير واثقة، كما لو أنه تعرض لحادثة أفقدته توازنه.
ينظر هنيهة من حوله ثم يقترب من مكتب الاستقبال. يظهر فورا مستخدم مفرط الطول يرتدي لباسا ابيض يبتسم بلطف.
يستند جوليان إلى المكتب.

جوليان : أين أنا؟

وكإجابة وحيدة، يمد الرجل بتؤدة مفتاحا. يتناوله جوليان.

جوليان : انت على صواب سأذهب لأستريح.

(يومئ الرجل. تظهر امرأة متشحة بالبياض، هي أيضا ناعمة وصامتة. تدنو من جوليان. يرد جوليان، كما لو أنها حدثته).

جوليان : نعم معي أمتعتي، إنها في السيارة، لكن... (يفتش عن مفاتيحه داخل جيوب معطف المطر، فلا يعثر عليها).

(بإحباط) دعي الأمر... سنعالج الأمر فيما



بعد...

(تمسكه المرأة وتقودة باتجاه الممر V يتوقف جوليان فجأة ويلتفت.

جوليان : هل تحتاجين إلى معرفة اسمي، ربما قد يهاتفني أحد...

(حينئذ يريه الرجل سجل الفندق).

جوليان : آه... دونته سلفا...حسنا...(يبدو فاقدا للتركيز بشكل واضح)... نعم، معك حق، أنا ذاهب لأستريح...

(تساعده المستخدمة بقوة. يختفيان داخل الممر V.

في هذا الوقت يأتي من الممر A شخصان).

(يرتدي كل منهما روب دي شامبر من الحرير. ينظر المنجم رادجابور داخل الردهة).

المنجم : قلت لك لدينا جديد!

(يلحق به الرئيس. رجل هزيل، تقليدي. يرتدي ملابسه بتعقل صارم، لأشخاص يعتبرون أنفسهم محترمين).

الرئيس : لكني لم أسمع أي شيء.

المنجم : عادي، أنت أصم كأدوات المطبخ.

الرئيس : (وقد شعر بالإهانة) معذرة؟

المنجم : كما ترى! (يلتفت نحو مستخدم الاستقبال) رافاييل،

أحدهم حضر، أليس كذلك؟

(يبتسم الشاب).

المنجم : (وقد استقرأ تأكيدا) آه، خيل إليّ ذلك.

الرئيس : (متفاجئا). تناديه رافاييل، أنت؟ أنا أناديه غابرييل.

المنجم : وهل يرد عليك؟

الرئيس : بطبيعة الحال.

المنجم : إذن نحن محقان معا.

الرئيس : بالتأكيد لا. (يلتفت نحو البهو) غابرييل، هل تدعى رفاييل أم غابرييل؟

(غادر الرجل سلفا من دون أن يقول شيئا).

المنجم : (وهو يجلس) لماذا لا يمكنك احتمال أن نكون معا على صواب؟

الرئيس : لأنك تقول شيئا وأنا أقول شيئا آخر.

المنجم : وليكن؟

الرئيس : حتما الحقيقة هي إما هذه أو تلك، لكن ليست الاثنتين. وإما، وإما، وإما أنك على حق وأنا على خطأ. وإما أنا على حق وأنت على خطأ.

المنجم : ألا يمكن لحقيقتك أن تتحمل حقيقتي؟

الرئيس : بكل تأكيد.

المنجم : أرى ذلك.. مثلها مثل امرأة متزوجة (لايمكن تقاسمها).



الرئيس : لم أتقاسم زوجتي أبدا مع أيا كان.

المنجم : أجل، إضافة إلى أنك أريتني صورتها بالأمس!

الرئيس : (وقد شعر بالإهانة) عفوا؟

(يفتح المنجم جريدته ويبدأ في القراءة) هذا لم يمنع الرئيس من مواصلة حديثه.

الرئيس : هل رأيت اليوم الدكتورة س...؟ (يهم المنجم للرد) أنا؟، ليس بعد. كتبت هذا الصباح طلبا صريحا من أجل موعد ولم أتوصل بعد لأي رد. هل يمكن أن نعامل الأشخاص هكذا؟ إني أسألك؟ (يهم المنجم للرد) هذا غير مقبول إطلاقا. مع أن ملفات مستفيضة ودقيقة قد أعدت عن كل واحد منا. لا بد أن الدكتورة س تعرف ماذا تفعل. هل تعتقد أن هذه الدكتورة ذات كفاءة حقا؟ (يهم المنجم بالرد) ألاحظ اليوم، بخصوص الأطباء وبغض النظر عن التصرف السليم، فإنهم محشوون بالمعرفة كما نحشو ديكا روميا، استعدادا لرأس السنة، لكن لا نعلمهم الأشياء الأساسية:الممارسة. مع هذا الطب المعاصر لا نتعامل مع أشخاص مثقفين ولكن فقط مع متوحشين يمتلكون المعلومات. ألا تشاطرني الرأي؟ (يفتح المنجم فمه) بطبيعة الحال، إنه فساد هذه الأجيال، لم يعرفوا الجوع أو البرد، ولم يعرفوا الحرب أبدا. وجدوا رغد العيش منذ ولادتهم.



ما رأيك؟

المنجم : أيها الرئيس، هل تعجبك الأجوبة التي أقدمها عن أسئلتك؟

الرئيس : عفوا؟

المنجم : (كما لو أنه أصم) هل تحب أجوبتي؟

الرئيس : عم تتحدث؟ يعجبني كثيرا محاورتك لكن اصمت عندما أتحدث.

(يزفر المنجم ويواصل قراءة الجريدة).

المنجم : ألا يزعجك الصوت الذي أحدثه وأنا أقرأ؟

الرئيس : عفوا؟

(في هذه اللحظة تدخل ماري)

ماري : رتبت سريري أربع مرات وصقلت خمس مرات حوض الاغتسال،

وأزلت تجاعيد ستائري. لا أعرف ماذا سأفعل بنفسي. أليس لديكما أعمال صغيرة؟ لا أعرف، أزرارا لعقدها؟ هل خيطت حاشية ردائك؟

الرئيس : (يجعل علاقتهما رسمية) سيدتي، هل استقبلتك الدكتورة س...؟

ماري : لا، مع أنني طلبت ذلك.

الرئيس : هذا غير مقبول. يعاملوننا كخدم!

المنجم : (مصدوما) أيها الرئيس!

ماري : (معجبة) لم يخطئ السيد، أنا فعلا خادمة.

الرئيس : هه!
المنجم : سيدي الرئيس لا وصاية هنا على أي أحد.
الرئيس : أفترض أن المقصود هو المساواة؟ الجذام الجمهوري الذي تسرب إلى كل مكان. لم نعد نميز شخصا عن شخص. أصبحت قيمة الإنسان بلا أهمية.
المنجم : بالنسبة إلي ما يصنع قيمة الإنسان، هو أنه إنسان فقط.
الرئيس : هراء، هراء خطير!
ماري : (مخاطبة المنجم) السيد على صواب: لا يمكن، مع ذلك، أن نقارن بين رئيس وخادمة.
الرئيس : آه، أترى! حتى هي، تعترف بذلك! سيدتي العزيزة ما هو الفرق في نظرك؟
ماري : أعتقد...
الرئيس : بلى، بلى، ألح، من أجل تعليم صديقي (بصوت عال) والدكتورة س... إذا كانت تسمعنا. ما الفرق في نظرك بين الرئيس والخادمة؟
ماري : من زاوية نظري؟ أعتقد بداية أنها قصة مكتب...
الرئيس : (يشجعها) وماذا بعد؟
ماري : الرئيس يوسخ المكتب والخادمة تنظفه.
المنجم : (مستمتعا) واصلي.
ماري : بل هناك ما هو أسوأ، إذا أردنا القول.
(الرئيس يحدث الجميع كأنهم فضلات أما مع

الخادمة فكما لو أنها هي الفضلات ذاتها).

المنجم : ماذا بعد؟

ماري : للرئيس لائحة من الألقاب التي تشخر أمام وخلف اسمه: السيد رئيس الشي الفلاني.. المدير العام للشركة العقارية والأسهم المجهولة الاسم. ضابط الفرقة الشرفية للأشياء، حائز وسام جوقة الشرف .....

أما الخادمة فليس لديها غير اسمها، وربما لا تملكه، لأنها تفقده سريعا محتفظة باسمها الأول فقط. إضافة... إلى هذا فهي ملزمة بأن تسمى ماري سلفا، وإلا ستسمى كذلك مادام السادة لايملكون ذاكرة.

المنجم : (يلتفت نحو الرئيس) فعلا، من العجيب أنه رغم هذه الاختلافات الأساسية لم تستقبلك الدكتورة س...

(حينئذ يدخل جوليان. يبدو أنه تحسن قليلا).

جوليان : صباح الخير.

(ينهض الآخرون لاستقباله).

جوليان : أنا جوليان بورتال.

المنجم : اسمح أن أقدم لك السيد الرئيس دلبيك. السيدة مارتان.

ماري..ماري مارتان. ماري عمدا.



المنجم : وأنا المنجم رادجابور.

جوليان : اسمحوا لي قد أبدو لكم غبيا: لا أعرف جيدا ماذا أفعل هنا. لا أتذكر أنني حجزت غرفة في هذا الفندق، ورغم ذلك وجدت اسمي مدونا في السجل، عندما وصلت.أين المسؤول؟ أين نحن بالتحديد؟

المنجم : ماذا تقصد بـ «التحديد»؟

جوليان : أي مدينة؟ وأي طريق؟

المنجم : لا أعرف شيئا.

جوليان : كيف؟ هل وصلت توا أيضا؟

المنجم : أوه لا، أنا أقدم نزيل في هذا الفندق. أقمت هنا منذ ستة شهور.

جوليان : أرجوك، أحس بأني مشوش كثيرا هذا الصباح. ليس بمقدوري أن أعبر بشكل واضح. ما اسم هذا الفندق؟

(يصمت النزلاء الثلاثة، ينظر إليهم جوليان واحدا واحدا، لا يتفوهون بأي كلمة).

جوليان يفرك رأسه مرة أخرى.

(تضع ماري كفها فوق كتفه).

ماري : هل تعرضت لحادث سيارة؟

جوليان : نعم...لا...(يفكر بإمعان) لا أدري. كنت على الطريق السيار. نعم. كان الوقت ليلا كنت قد

شربت من الخمر مع العشاء، كنت أتحكم جيدا في سيارتي براديو من الطراز الحديث س 6، هل تعرفينها؟

المنجم : لا أميز سوى بين نوعين من السيارات: تلك التي تضع إشارة التاكسي وتلك التي من دونها.

جوليان : كنت أسوق بسرعة لكني كنت متحكما في السيارة. كنت عائدا إلى بيتي.

ماري : هل كان في انتظارك أحد؟

جوليان : (مطأطئا رأسه) لا.

ماري : يجب أن يكون شخص ما في انتظارك دائما... هذا هو الحل الوحيد لتفادي الحوادث.

جوليان : (مستسلما) لكنني لم أتعرض لحادثة سير.

(ينظرون إليه بلطف، لكن بمزيد من الارتياب).

جوليان : (محتجا) لم أتعرض لحادثة سير! لم أتعرض لحادثة سير!

يسكتون. يعاود جوليان الجلوس.

جوليان : كان علي أن أدرك أنني عندما دخلت إلى هذا النزل لأستريح، كنت غافيا بعض الشيء.

المنجم : نزل! يا له من مداعب! نزل!

لم تستطع ماري والمنجم أن يمتنعا عن الضحك.

يضطر الرئيس إلى مشاركتهما المرح.

(في هذه الأثناء يعبر القاعة الشاب المتشح

بالبياض. ينظر إليهم لحظة بابتسامة لطيفة. يتوقفون في الحال عن المزاح).

ماري (خجلة قليلا). معك حق يا إمانويل، ليس الاستهزاء لطيفا.

الرئيس : (مندهشا) أنت تناديه إمانويل؟ أنت؟ (ينصرف المستخدم).

جوليان : هل يمكنكم مساعدتي؟

المنجم : (مخاطبا جوليان) في الواقع، ثق بتجربتي. ليس لديك إلا وسيلة وحيدة لمعرفة أين توجد الآن، وهي أن تطلب من كل واحد منا ماذا كان يفعل قبل وصوله إلى هنا.

(ماري تومئ برأسها موافقة، وبعد لحظات يوافق الرئيس أيضا).

الرئيس : إذا كان هذا سيساعدك.

جوليان : هذا غير معقول...

المنجم : ليست هناك خيارات أخرى.

ماري : (مخاطبة جوليان) اطلب ذلك مني. (لا يتفاعل جوليان)

اللعنة، اطلب ذلك مني بالله عليك! (جوليان يقطب حائرا. تتفهم ذلك بطريقة إيجابية) لقد وافق. (تتنهد بحبور، وتبدأ حكيها)

ماري : أسمتني أسرتي ماري. فكرة سيئة. مسحت،



ونظفت طوال حياتي. ألصقوا اسم ماري فوق جبهتي لأنهم كانوا يعلمون أن المكنسة والإسفنجة والمسحة

ستكون من نصيبي. كان أبي عاملا في الفلاحة، رجل جميل، شديد السمرة، كثيف الشعر، يحلق ذقنه صباحا لكنها لا تلبث أن تنبت شعرا كثيفا عند الظهيرة. أنت تدرك ما أعنيه، عند كل فصل ربيع تنجب أمي أخا صغيرا وأختا صغيرة. حتى وصل عددهم إلى اثني عشر قبلي، طبعا كان لا بد لي من مساعدتها، لأنها كانت متعبة طوال الوقت. ولحسن الحظ، فالثالث عشر باسكاليتو ولد معاقا، كان وجهه مفطوسا كعباد الشمس. ولأنه لم يكن يفعل أي شيء في أوانه، كالآخرين. قالت الأسرة إنه سقط من فوق عربة الشمندر. منذ ذاك توقفا عن الإنجاب.

الرئيس : (مرعوبا) اختصري، خلاصة القول، اختصري.

ماري : لا أعرف الاختصار، لأنهم لم يسمحوا لي أبدا أن أتكلم، فعندما تتاح لي بالمصادفة فرصة الكلام، فإنني لا أستطيع التوقف.

إجمالا، فأنا أمسح يوميا، منذ صياح الديك إلى وقت متأخر من الليل. لم تكن تتوافر لي ثانية كي أحلم، لهذا تم التغرير بي مبكرا، فغادرت البيت



في سن الثامنة عشرة مع أول فتى بدأ يغازلني لأقيم معه برفقة ابنتي الصغيرة. اخترته لأنه كان يشبه أبي، بمعنى أنه كان كثيف الشعر غير أن أبي كان يعمل ويطعم أبناءه، بينما هو كان كسولا وكأنه من الموتى، وهكذا ماتت علاقتنا. وبطبيعة الحال، فرقعة! ثم يذهب. وبهذا وجدت نفسي خادمة لإطعامه هو أولا ثم إطعام الصغيرة واللواتي جئن بعدها. رزقت بناتا أخريات أيضا.

الرئيس : لكن اختصري!

ماري : لا أعرف. قلت لك ذلك.

الرئيس : نطلب منك النهاية وليس البداية.

ماري : ما من شيء مهم في حياتي، لحكيه، لهذا عندما أحكيها، فإني أحكي كل شيء. كان من المفروض ألا تطلبوا مني ذلك. أخيرا، وذات يوم خرج لشراء التبغ، ولم يعد أبدا. في الواقع، لم يكن هذا سيئا، لكنه لم يساعدني على أن أصير امرأة جميلة. وفي النهاية كبرت البنات، لا أعرف لمن كن يشبهن، ربما لجدهن. تراكمت فوق رأسي مشاكل العالم بين العراك مع البنات الشقيات والحياة. منذ شهر فقط حصلت على تقاعدي المبكر.

حياتي كلها كنت أقول إنه عندما ستأتي اللحظة الأخيرة في عملي، سأقول لرئيسي: سحقا. لكن

عوضا عن هذا وأنا أجمع مكانسي ومجارفي أصبت بثقل وبدأت أرتعش، وهكذا فجأة وجدت نفسي أنهار بسرعة وسط صالون، لم يكن حتى في بيتي. كان الناس في المستشفى لطفاء جدا، لم أكن أصدق أن المستشفى مكان حسن. كل شيء فيه نظيف وأبيض من دون أن أكون أنا من فركه ومسحه. الوجبات معدة والشباب مبتسمون. أعتقد أن أجمل أيام حياتي هي تلك التي قضيتها في المستشفى. قالوا لي إن قلبي متعب ومستنزف. على غير العادة، لمن هم في مثل عمري. حددوا لي الإقامة في دار للنقاهة. عندما دخلت إلى ذاك القصر العتيق قصر الفيرونيير وسط منتزه كنت محط عناية الجميع. كانوا كلهم يقدمون لي خدمات متنوعة. خيل إلي أني أميرة. البستاني نفسه كان يحضر لي وردة كل صباح مصحوبة بانحناءة إجلال تشعرني بالخجل. أمس نزلت الأدراج الكبيرة مستندة على الدرابزين. قلت لنفسي: أخيرا أحس بالطمأنينة، وأن بإمكاني أن أفكر في كل ما لم أستطع التفكير فيه من قبل. الحياة، الموت، الرب. أحسست بأن عيني ورئتي تنقشعان، وأن حياة جديدة ستبدأ. كل ما حولي يرتج وكأني أسمع تنفس الأشياء، قلت في نفسي:

«لا بد أن هذا هو الشعور بالسعادة» ثم طق!

جوليان : ماذا تقصدين بطق؟

ماري : أصبت بنوبة قلبية جديدة.

جوليان : وماذا بعد؟

ماري : ها أنا هنا.

جوليان : هذه إذن مصحة وليست فندقا؟

المنجم : انتظروا، إليك الكلمة عزيزي الرئيس.

الرئيس : سأكون مختصرا. تعود الذكرى الأخيرة، قبل أن أجد نفسي هنا إلى أول أمس. كنت وقتها مغادرا بيتي ككل صباح، على الساعة الثامنة بالتحديد، دفعت الحاجز الحديدي، فلمحت درّاجا يجول فوق الرصيف. كان شابا، بطبيعة الحال، جلجل جرس دراجته الحقير. فكرت أن هذا الفتى الأبله سيتوقف، فليس من حقه أن يقود فوق الرصيف. قمت بخطوتين، وعلى حين غرة وجدت نفسي مرفوعا ومقذوفا على مقعد. أحسست بأن جمجمتي قد اصطدمت بركن المقعد الحجري. هذا كل ما حصل.

المنجم : هل كانت الصدمة من الجهة اليسرى؟

الرئيس : بكل تأكيد.

المنجم : أنت ضحية القانون.

الرئيس : دائما ما كنت أحترم القوانين. من لم يحترم القانون



هو هذا الدرّاج المفصول المخ.

جوليان : (مخاطبا المنجم) وأنت؟

المنجم : غيبوبة السكري.

جوليان : أين هم الأطباء؟ الممرضات؟ لماذا غرفنا غير مجهزة بأجهزة العناية؟

المنجم : لا نوجد في مستشفى.

جوليان : خلاصة القول! لسنا في قسم الحالات المستعجلة؟

الرئيس : لا.

المنجم : فكر جيدا.

ماري : في أي ممر أنت؟ الممر A أم الممر V؟

جوليان : هذاالممر.

المنجم : الممر V؟ وإذن لم تتعرض لحادثة سير.

جوليان : طبعا، لم أتعرض لحادثة. هذا ما كنت أقوله لكم. (يفكر) ماذا يعني الممر V؟ ولماذا ممر V وممر A.

المنجم : بلا شك ستلتقي بالدكتورة س...

جوليان : تقول لي إننا لا نوجد في مستشفى، ومع ذلك هناك دكتورة.

ماري : س... الدكتورة س...

جوليان : أريد أن أراها حالا.

الرئيس : آه يا عزيزي لا نقابل الدكتورة س... هكذا.



المنجم : يكفي فقط أن ترغب في ذلك حتى لا تستطيع الوصول إليه.

ماري : هل انت متأكد أنك لم ترتطم عمدا بشجرة البلوط.

جوليان : أي شجرة؟ عم تتحدثين؟

المنجم : حقا بعد كل ما قيل، لم تفهم بعد؟ غيبوبة... نوبة قلبية... حادثة سير... ألا تربط هذا بذكرياتنا الأخيرة؟

جوليان : (ينهض ناظرا حوله) تريدون أن تقولوا إن...

(يوافقون بحركة من رؤوسهم).

المنجم : ذكرياتنا الأخيرة كلها، للأسف، ذكريات أخيرة.

جوليان : (بالكاد، يجرؤون على نطق ما يفكر به)

ها هنا؟...نحن موتى؟

(ينفجر الثلاثة ضاحكين).

جوليان : (يأخذ في الصراخ) ميت! أنا ميت!

(يواصل الثلاثة ضحكهم)

جوليان : (يهز المنجم) لكن أجب، اللعنة! أنا ميت وهذا يضحككم.

المنجم : لاحظ أنك إذا كنت كذلك، فنحن أيضا مثلك.

(وبالطبع يحدث هذا موجة من الضحك العارم لدى النزلاء الثلاثة).

جوليان : لقد تواجدت بين المجانين، لن أبقى هنا ثانية

زيادة.

(الرئيس (يضحك بحدة) جوليان يهرع نحو المصعد غاضبا).

ماري : ها نحن سنبدأ التهشيم.

(يبحث جوليان عن زر المصعد بسعار).

جوليان : أريد الخروج.

المنجم : لا يمكن استحضار هذا المصعد.

جوليا : (غاضبا) حسنا، سأنزل من السلم الخلفي.

المنجم : لا يوجد.

جوليان : أنت مجنون، يجب أن تحجز في مصحة.

المنجم : (بمرح) لقد حصل!

(ضحك مجنون مرة أخرى
يهرول جوليان إلى الممر).

ماري : كانت دائما تنتابني موجات الضحك في الجنازات.

(يعود جوليان راكضا وقد انتابه غضب عارم)

جوليان : سأجده.

(يخرج إلى الممر الآخر).

المنجم : (يهز كتفيه) يجب أن يحاول.

ماري : طبيعي ألا يصدق. لم يشاهد لحظة رحيله....

المنجم : خلال الليلة الأولى، التي قضيتها هنا، حاولت حتى أن أحفر أرضية غرفتي.



يعود جوليان لاهثا، متعرقا إلى غرفة الاستقبال.

جوليان : هذا مشين. لا يوجد منفذ. النوافذ معتمة ولا تفتح. إذا لم تدلوني على مخرج حالا، فإني سأحطم الزجاج وسألقي بنفسي من الطابق.

المنجم : (من دون أن يلتفت حتى) طبيعي.

ماري : قلت لكم أن التهشيم سيبدأ.

جوليان يختفي داخل الممر V. يدخل إلى غرفته، نسمعه يلقي الأثاث من النوافذ.

ماري : لا أحب تحطيم الأشياء. هذا يذيب قلبي. لا دخل لهذه الأشياء المسكينة بالأمر...

المنجم : وما أهميتها؟

ماري : لا بد أن السبب مصدره تشوه مهني. خلال الخدمة في المنازل، لفرط تعودنا البقاء وحيدين والاعتناء بالأشياء، نبدأ بالتحدث إليها. عندما نحك أواني الفضة، نعتقد أننا نحممها. عندما نضع الشمع على طاولة، يتهيأ لنا أننا نطعمها. عندما نكسر شيئا، نعتقد أننا آذينا شخصا، فنعتذر ونغمغم، ثم نجمع الحطام إلى صندوق القمامة ونحن نحس بتأنيب الضمير.

(يظهر جوليان فجأة منهكا ومهزوما).

جوليان : هذا غير معقول. النوافذ محصنة. هل أوجد في سجن أم ماذا؟ هذا مكان غير حقيقي.

المنجم : لم تدخل إليه برغبتك ولن تخرج منه طوعا.

يحس جوليان فجأة بالضعف.

يهرع المنجم لمساندته.

المنجم : هون عليك...

جوليان (وقد ابيض وجهه) هذا ليس حقيقيا... لست ميتا...لست ميتا...

ماري : بدأ يدرك الحقيقة.

(يجلسونه بينهم).

جوليان : (مرتجفا) ومع ذلك فأنا مازلت حيا، حيا.

المنجم : أوه، عرفت مواقف من قبل أشد غرابة. أنت على قيد الحياة في أحلامك أيضا. لديك جسد يسبح في ماء أزرق، بينما أنت مازلت داخل فراشك.

جوليان : (يلمس نفسه) مازلت حيا...

المنجم : لكي تبرهن لنفسك أنك مازلت على قيد الحياة، فيجب أن تموت أولا. نعم، إذا نجحت في ذلك، فيعني ذلك أنك كنت حيا في السابق. في المقابل إذا فشلت، فهذا يعني شيئين أيضا: إما أنك مت مسبقا أو أنك خالد.

جوليان : لا بد أني أصبحت مجنونا.

المنجم : وهذا حل آخر.

الرئيس : (بسخرية) هذا حل؟

(يدخل فجأة الشاب والشابة المرتديان ملابس

بيضاء إلى الغرفة. كأنهما يتقدمان أحدا مهما).

المنجم : أوه الدكتورة س..ستأتي.

الرئيس : (واقفا) كنت قد أخذت موعدا.

(الشاب والشابة ينظران بإمعان إلى كل من المنجم وماري والرئيس. يبدو أنهما سمعا شيئا من حديثهم).

ماري : (محبطة) آه حسنا.

المنجم : (محبطا) موافق.

الرئيس : (باستنكار) أخيرا. كنت قبل السيد (يلتفت نحو جوليان بعدوانية) ما هي مهنتك أنت؟

جوليان : (بصوت خافت) مدير تحرير جريدة رياضية.

الرئيس : إذن، ألا ترى معي أن رئيس ثلاث شركات كبرى، يساوي أكثر من مدير تحرير. أليس كذلك؟

(يصر المستخدمان. ينهض النزلاء الثلاثة السابقون. ينحني المنجم بلطف نحو جوليان).

المنجم : تريد الدكتورة س... التحدث إليك.

جوليان : من قال لك ذلك؟

المنجم : إنه رفائيل!

الرئيس : بل غابرييل !

ماري : إمانويل!

(يغادران الغرفة

يلحق بهما الشاب والشابة).

ينتظر جوليان.

تدخل امرأة أنيقة، لكنها تبدو صارمة. تحمل ملفات تحت إبطها. كطبيبة تقوم بتفقد المستشفى.

الدكتورة س... : جوليان بورتال.

جوليان : نعم؟

الدكتورة س... : صباح الخير، أنا الدكتورة س...

(يبدي جوليان حركة تدل على أنه قد فوجئ. ترسم الدكتورة س ابتسامة. تجعل جوليان يبدو مطمئنا. تشير له أن يجلس).

الدكتورة س... : (بهدوء) هل أنت خائف؟

جوليان : قليلا.

الدكتورة س... : هل أدركت أين أنت؟

جوليان : قولي أنت إن هذا غير صحيح!

الدكتورة س... خرجت عن الطريق، بسرعة مائتي كلم في الساعة، فاصطدمت بشجرة.

جوليان : (غير مصدق) لا أتذكر هذا البتة.

الدكتورة س... : بطبيعة الحال كنت نائما (تبحث بين أوراقها) دعني أتفحص ملفك.

جوليان (محدثا نفسه) شجرة... انتهيت إلى الانسحاق مع شجرة. لحسن الحظ، أني كنت وحدي...

الدكتورة س... : (بعفوية) لديك نقطة جيدة تحسب لك.

(كما لو أن جوليان يستيقظ من خمول.

ينظر بإمعان إلى الدكتورة س... بدأت نظرة الرجل إلى المرأة تشع).

جوليان : لم أتخيلك هكذا.

الدكتورة س... : هذا يعني

جوليان : أنك جميلة.

(تبتسم، ثم تغوص في ملفها).

الدكتورة س... : أربعون عاما. ولدت في أسرة ميسورة. دراسات جيدة. لا وجود لعمليات جراحية كبيرة. وليست هناك أمراض جسيمة.

جوليان : (بتهكم) أنا ميت، وبصحة جيدة.

الدكتورة س... : عدة محاولات مهنية. نوع من اللااستقرار يدفعك إلى ترك مناصبك خلال سنتين. غير متزوج.

جوليان : ومع ذلك، هل تقبلين بي؟

الدكتورة س... : لا أحكم عليك وإنما أقيم ملفك الطبي. تضم ساقيها.

جوليان : (ينظر إليها بنظرة مشوبة بالدهشة) لم أكن أتخيل أن الموت سيجعلني التقي بامرأة ذات سيقان جميلة بامرأة مثلك.

الدكتورة س... : هل أعتبر كلامك غزلا؟

جوليان : ماذا سأربح؟ وماذا سأخسر؟

الدكتورة س... : لا تتعامل معي بهذه الطريقة. يشير ملفك إلى أنك

ركضت خلف بجنون.

جوليان : كن يركضن بسرعة.

الدكتورة س... : أنت أكثر منهن. كنت تركض من خلفهن وأمامهن. وما أن تحصل عليهن حتى تهجرهن كلهن.

جوليان : هل هي تهمة أن يدرك المرء سريعا أن حياة أي زوجين بلا مستقبل؟

الدكتورة س... : (بسخرية) سريع في كل شيء.

جوليان : لم أعثر أبدا على امرأة تجعل مني رجلا مخلصا.

الدكتورة س... : كما لو أن الأمر يتعلق بها.

جوليان : (متوترا) أسعدت كثيرات وأبكيت كثيرات الأمر سيان؟ أغلب من قابلت من النساء لم يكن يرغبن في الحب ذاته، ولكن في قصص الحب (ينهض فجأة بخنق) عن أي شيء كنا نتحدث؟ لن تعطيني درجة مثل أي تلميذ؟ ولن تقنعني درجة مثل أي تلميذ؟ ولن تقنعيني بان تلك الأسطورة القديمة مازالت موجودة أسطورة الفردوس والجحيم والنفوس التي يتم وزنها ويوم الحساب؟ أرفض أن تقومي بمحاكمتي؟ أنا ميت الا يكفي؟

الدكتورة س... : أنت مخطئ كليا (بهدوء) بداية أنا الدكتورة س... ولاحقا أنت غير ميت.

جوليان : (مخضوضا) ماذا؟

الدكتور س... : بطبيعة الحال.

جوليان : (مبتهجا) كنت أعرف هذا جيدا، كنت أعرف هذا جيدا. أوه يا إلهي! (يلكم أعداء خياليين) أنا حي! حي!

(وفجأة يبدو وكأنه في العشرين من العمر).

الدكتورة س... : (تنظر إليه بمرح) لم أقل هذا أيضا.

جوليان : ماذا؟

الدكتورة س... : إنك حي.

(جوليان ينكمش، لا يريد سماع أي شيء)

جوليان : اسمعي، لا أريد حتى أن أفهم ما يدور هنا. ما دمت بصحة جيدة، فإني سأرحل.

الدكتورة س... : ليس الأمر بيدي.

جوليان : هل تنوين أن تمنعيني؟

الدكتورة س... : (بلطف) ليس بيدي.

جوليان : اسمعي يا دكتورة أيا كان لست أدري. لا أعرف جيدا كيف وصلت إلى مصحتك. لا بد أني نمت وأنا أقود السيارة. واصطدمت بشجرة، وغبت عن الوعي، خلال حملي إلى هنا. والآن أنا بصحة جيدة، ولا أحتاج مساعدتكم. أنحني احتراما لكم، سلاما. (يضغط بإصرار على زر المصعد). قولي لهذا المصعد أن يصعد.

الدكتورة س... : هل تصر على تكرار القصة، مع المصعد؟ مع

الأدراج الخفية؟ النوافذ التي لا تتكسر؟

(بحركة من الدكتورة س... أظهرت مساعديها. يقفان أمام الممرين لمنع جوليان من المرور. تشير إليه أن يلزم الهدوء).

جوليان : هذا غير معقول! هل أنا أتواجد في سجن أم ماذا؟

الدكتورة س... : أنت في خطر يا جوليان، في وضعية خطيرة. يجب أن نتكلم. ستتفهم الأمور.

(ترسل بحركة من يدها المستخدمين إلى داخل الغرفة. يدفعان جانبا من الحائط ويظهران لوحة مضيئة تشبه لوح القيادة. غريب ولا مرئي من الجمهور).

الدكتورة س... : قبل ساعة، دخلت سيارتك في شجرة، كانت تنطلق بسرعة مائتي كلم في الساعة. لا أحب أن أتحدث عن حالة السيارة التي كنت مغرما بها. ولا أحب أيضا أن أصف لك وحالتك الجسدية.

جوليان : ماذا تقولين؟

(الدكتورة س... تمسكه من يده وتسحبه نحو اللوحة المضيئة).

الدكتورة س... : حضرت سيارة الإسعاف وحملتك إلى مستشفى «ديكارت» مغمى عليك، متورما، الركبتان مكسورتان،

واضلاع كثيرة محطمة. اهتم بك فريق طبي مؤهل أفضل تأهيل، حاول إنقاذ حياتك. ليسوا متفائلين، يحبسون أنفاسهم وأنفاسك أيضا. بذلوا قصارى جهدهم.

(تعرض أمامه اللوحة حيث تبدو إشارات ضوئية وامضة. هناك مقياس يصعد ويهبط).

الدكتورة س... : جميع النساء والرجال الذين يشغلون الغرف هنا هم حاليا يعيشون على الأرض وضعية صعبة جدا. يسهر عليهم أطباء وممرضون أو عائلاتهم. تخترق أجسادهم الأنابيب حاملة الأمصال والكهرباء. هم في وضعية تسمونها هناك بالغيبوبة. أي هي وضعية بين الحياة والموت. هذا يعني هنا...

تقوده نحو الأرائك. وهو شبه نائم.

الدكتورة س... : في هذا المكان يجب أن تنتظر، في فندق العالمين. هنا، أنت قد تخلصت من الآلام التي يعانيها جسدك هناك.

جوليان : (بدأ يقتنع) لا أصدقك. تريدين أن تفهميني أن جسدي في مكان آخر؟

الدكتورة س... : هل تحس بألم في كاحلك؟ مع أنك تعرضت لالتواء مفصلي مروع، منذ يومين، كنت متورما جدا، ولم يكن بمقدورك المشي. هل تتألم الآن؟

(يحرك جوليان قدمه بلا عناء).

الدكتورة س... : هل تدرك الآن أن جسدك من لحم وعصب، جسدك المثخن بالجروح، يوجد في غرفة الإنعاش. وأنت هنا في حالة انتظار.

جوليان : أنتظر ماذا؟

الدكتورة س... : أن يتقرر مصيرك. إما أن تنجو فينزلك المصعد إلى الأرض، أو نخفق في إنعاشك، فيحملك إلى الأعلى.

(يتلقى جوليان هذا السر كضربة. ينظر مصدوما وببطء إلى ما حوله).

جوليان : هناك فوق؟

الدكتورة س... : تكفي هذه المعلومات الآن.

جوليان : أهو الموت؟

الدكتورة س... : ما تطلقون عليه أنتم الموت.

جوليان : لا شيء بعد ذلك.

الدكتورة س... : وهو نهاية الحياة (صمت) يقتصر عملي على إعطائك المعلومة اللازمة، لننظم عبورك.

جوليان : من يشغلك؟

(الدكتورة س... تلاحظ ضوء الممر A يومض وينطفئ، فتستعد للمغادرة).

جوليان : ماذا يعني هذا: الممر A والممر V؟

الدكتورة س... : ماذا ألم تخمن؟ ممر A لأصحاب حوادث السير. أما الممر V فهو للمتطوعين أو بمعنى آخر



للمنتحرين.

جوليان : أخطأت، فقد وضعتيني في الممر V وأنا لم أنتحر، ولكني تعرضت لحادثة.

الدكتورة س... : آه، نعم؟

جوليان : لم ألق بنفسي طواعية على هذه الشجرة.

الدكتورة س... : آه، نعم. (بحدة) سيد بورتال، منذ قليل، لم يكن الكحول فقط في دمك، لكنك منذ سنوات وأنت تتعاطاه. كما أنك تعاطيت أيضا بعض الأنواع من المخدرات الخفيفة والثقيلة والنادرة. كانت هذه وسيلتك للتهرب من المسؤوليات. كما أنه أدى إلى انهيار أعمالك. كانت جريدتك أيضا تتداعى وأنت غير مهتم وتصرفاتك في أعين مساعديك كانت تبدو غير معقولة أكثر فأكثر. وهكذا ألقيت بعرض الحائط كل شيء. وتسللت هاربا صوب خسارتك. لهذا يجب أن تدرك أنه في ذلك الصباح، الذي تم فيه العثور عليك ثملا مسحوقا بسرعة 200 كلم بجانب الشجرة. لا بد أن تستنتج أن الأمر يتعلق بعملية انتحار. انتحار طويل الأمد ومخطط له بعناية.

(بقي جوليان فاغرا فاهه)

جوليان : انتحار طويل الأمد؟ أنا؟

الدكتورة س... : نعم...الكحول انتحار الجبناء. (صمت) الآن، أرجو

أن تعذرني. لست المريض الوحيد عندي.
(تغادر)
يجلس جوليان صامتا تحت تأثير صدمة المعلومات التي سمعها للتو.
يطل المنجم برأسه إلى داخل الغرفة. يضع فوق رأسه عمامة شرقية موشحة بلؤلؤة قمرية. يتأكد من تواجد جوليان بمفرده، ثم يقترب مناولا إياه بطاقة مهنية.

المنجم : «المنجم رادجابور» عرافة كشف الغيب بمختلف أشكاله تحت الطلب، الأبراج، محاورة الأسلاف، مائدة استحضار الأرواح، والشعوذة، التأمل التجاوزي.
أنا المنجم رادجابور أعرف جميع العلوم القديمة للشرق والشرق الأوسط.
(صمت) بطبيعة الحال، كان اسمي السابق هو مارسيل، مارسيل بيلوشا. ولدت بشارع بنات الجمجمة. الجمهورية، باريس، كيف يتسنى لجزيئات الجسد حاملة العوامل الوراثية وكيف للبويضات، تلك الحيوانات الذكيه أن تخطئ إلى هذا الحد؟
(صمت) هل ترغب أن أقرأ لك المستقبل؟
يستفيق جوليان من انهياره بشكل عدواني.



جوليان : هل تسخر مني؟

المنجم : قليلا، لكن هناك أشخاصا لا يرغبون إلا في هذه الترهات ويدفعون عنها أموالا.

جوليان : بالتأكيد، لكن ليس هنا.

المنجم : بل هنا أيضا! لا يمكنك تخيل الحصيلة التي جمعتها هنا خلال ستة شهور. المشكل الوحيد أن هذا المال لن ينفعني في أي شيء الآن كما أن المستقبل هنا غير مضمون. خلاصة القول، هذه الأمور تشغلني قليلا.

يخبط جوليان الحيطان.

جوليان : هذا مثير للسخط.

المنجم : (معتقدا أن هذا الحديث يخصه) يا لها من ستة شهور في الغيبوبة. في كل الأحوال، فهذا يمنحني كل الأعذار.

جوليان : لا بل إني أتحدث عن هذا المكان. عن هذا الانتظار.

المنجم : وما الداعي. زنزانة بدلا من زنزانة. ما الفرق؟ هنا أو هناك، لا نهرب إلا من خلال نافذه الموت، ولا نعرف إلى أين تؤدي.

يدور جوليان حول نفسه كحيوان ضار داخل قفص.

المنجم : في الأسفل نعرف أننا سنموت. ونرفض مواجهة

القطار القادم. نرفض رؤية القطار نقول إن القطار التالي لن يكون لأجلنا. أما هنا فالزمن يتحدد. (يربت على كتفه). تصور أن هذا أكثر إمتاعا. أصبحنا شرهين، نستغل هذا الأمر، ونتلذذ الآن بكل لحظة، كأنها قطعة حلوى. أستكشفها وأستمتع بها.

جوليان : وكيف يمكننا هنا أن نتسلى؟

المنجم : بالضبط، هذا سيغير كل شيء، هنا لا نتسلى وإنما نشغل الوقت. بداية نلتقي بعدد مختلف من الأشخاص. وإذا كنت محظوظا وبقيت طويلا في قسم الإنعاش (يبدو جوليان مصدوما) يمكنك أن تلاحظ أن الأمور تتلاحق، كل يوم، دخول وخروج، ثم نثرثر، كما نفعل الآن. لا أقول شيئا مهما ولا شيئا ذكيا. وأنت كذلك. وهذا يعني أنني موجود، وأنت كذلك. كما أننا ننسج علاقات إنسانية بيننا. أليس هذا ظريفا؟

جوليان : وما الداعي إلى كل ذلك؟ وفي أي شيء ستفيد العلاقات الإنسانية مع أشخاص، ربما لن تراهم أبدا، مرة أخرى؟

المنجم : (يلعب دور من شعر بالإهانة) إذا أردت العلاقات الدائمة، فلتذهب لمحاورة الصخور والحجارة والجبال. لكنني أشك في أن يكونوا عنيدين

ومتصلبين مثلك وأن يتحدثوا إليك.

يتهض للمغادرة.

جوليان : (مبتسما) أصبت الهدف.

المنجم : (عائدا) انظر كم هي مسلية الحياة...أوه معذرة... (مصححا) أعني كم هي مرحة الغيبوبة!

يلقي جوليان بجسمه فوق الأريكة.

جوليان : (متنهدا) أنا محبط. دائما ما كنت محبطا.

المنجم : ربما كنت طفلا مدللا.

جوليان : لماذا تقول هذا الكلام؟

المنجم : لأنك لا تبدو قبيح الشكل ولا يظهر عليك الفقر. إذن فقد كنت طفلا ضجرا بين الألعاب التي أهديت له.

جوليان : هل تحتقرني.

المنجم : إطلاقا. أنا سعيد أن تكون للأغنياء مشاكل أيضا.

جوليان : لم أكن أرغب في إثارة شفقتك.

المنجم : (بهدوء) قد يكون فقدان الشهية أفظع معاناة. لكن أن نولد شبعى، وأن يكون فمنا مملوءا دائما قبل أن نصرخ، وأن نتلقى القبلات قبل أن نطلبها، أن نصرف المال قبل ربحه، لا يجعل كل هذا الإنسان متحمسا للمعارك. أما نحن الطبقات المسحوقة، بالنسبة لنا، ما يجعل العالم شهيا هي الأشياء التي

لا نملكها. تكون الحياة جميلة عندما تكون فوق إمكانياتنا وقدراتنا.

جوليان : (يبتسم مندهشا) لقد فهمتني.

المنجم : في المقابل. وهذا هو ما لم تفهمه، أن الحياة بالنسبة لك وبالنسبة لنا، سواء ببطون ممتلئة أو فارغة، فإنها فوق قدراتنا جميعا.

جوليان : عفوا.

المنجم : لأنها ليست ملك لنا.

يشير إلى المصعد المرتقي نحو الأعلى.

جوليان : (ببطء) كان يجب أن تنتزع مني كي أعرف قيمتها.

المنجم : تلك كانت هي المشكلة الفردوس على الدوام الفردوس هو ما يأتي بعد لافتة «خروج».

(تدخل ماري كالإعصار)

ماري : (ساخطة) لا، هذا غير ممكن، لدي جرس مكان الدماغ. منذ الأمس وأنا أقول لنفسي إن الأوان قد حان، كي أفكر في أشياء مهمة وعميقة، وبدلا من ذلك أصاب بهاجس تنظيف لطخة على حائط غرفتي لا تريد أن تزول. هل الحاضرون هنا أغبياء مثلي؟

المنجم : الأمر يجب أن يناقش.

ماري : أعلم جيدا أن جمجمتي ضيقة لا تسمح للأفكار العظيمة أن تدخل إليها. ولكن على أي حال كنت أفضل لو كنت أكثر بلادة وغباء، كي لا أعي ذلك.. كانت لدي أخت شديدة الغباء كان من الطبيعي في حالتها ألا تتحدث ولكنها غبية إلى هذه الدرجة كانت لا تكف عن الكلام..ما من شيء يدهشها أو يجعلها تتوقف، هكذا يجب أن يكون المرء أما أنا فذكية بما يكفي كي أكون معذبة.

(يعود جوليان للدوران حول نفسه كحيوان ضار)

جوليان : نحن جميعنا كذلك.

ماري : لا ليس من درسوا من يفكرون.

جوليان : ماذا يعرفون زيادة عنا؟

ماري : لا أعرف. لكنهم عندما يعرفون، هم يعرفون. وعندما لا يعرفون أنهم لا يعرفون، لأنهم لا يعرفون. لا يتخبطون مثلي. إذا أتيحت لي فرصة إعادة حياتي، فإني سأدرس الفلسفة (بحنين) «ماري مارتان تخصص الفلسفة المستوى الأول» (تضحك).

جوليان : (بعنف) أن يكون الإنسان فيلسوفا، هل هذا يمنع من الموت؟

ماري : لا، لكن قد يساعد على الحياة. (تقترب من

المصعد) في رأيك، ماذا يوجد في أعلى المصعد؟

جوليان : لا شيء.

ماري : هل صعدت إلى هناك؟

جوليان : لا.

ماري : وإذن!

جوليان : يوجد الموت، ألا تكفيك هذه المعلومة؟

ماري : لا لم يسبق لي أن مت. الموت هو الشيء الوحيد الذي لا نعرفه، بالكاد نسمع عنه، ونسمع عنه بالأذن اليسرى حيث إن أحدا لم يعد أبدا بعد أن مات. (مخاطبة المنجم) أنت الذي تستحضر الأرواح. لا بد أن الموتى يحدثونك عن أشياء كثيرة.

المنجم : بالتأكيد.

ماري : ماذا قالوا؟ على سبيل المثال؟

المنجم : (متضايقا) إنهم يكرهون حمواتهم وأنهم مغرمون بسكرتيراتهم، وأنهم قد أضاعوا حياتهم كما أنهم يودون لو استطاعوا معاودة العزف على البيانو وشغل الكروشيه والتريكو... مجرد تفاهات.

ماري : ما من شيء آخر.

المنجم : لن يجعلك الموت أكثر حكمة!

ماري : كنت أعتقد... (صمت) الم يحدثوك عن الأعلى؟

المنجم : لا.



ماري : مع ذلك، فما داموا قد تكلموا معك، فهذا يعني أنهم موجودون. باختصار أريد أن أقول، بطريقة ما، إنهم ليسوا موتى.

المنجم : ربما...

ماري : لماذا تقول ربما؟ هل تكلموا معك، نعم أم لا؟

جوليان : (بعنف) هذه الأمور كلها من نسج خياله.

ماري : بالتأكيد، فبهذه الطريقة يتكلم الموتى!

المنجم : بالفعل، أحيانا، كنت أسمع أصواتا، كلمات داخل رأسي، ذلك يحدث أيضا في أحلامي خلال الليل، كباقي الناس، لكن هذا لا يبرهن على أي شيء.

ماري : (تتمتم) هذا يبرهن أنك لست منجما حقيقيا.

يقرر جوليان الانخراط في الحوار كي يتوقف عن الدوران.

جوليان : توقف عن المزاح. نعلم جميعنا كيف ستتم الأمور. هل تتذكرين شيئا قبل أن تولدي؟

ماري : أي لا شيء؟

جوليان : لا شيء البتة، العدم .

ماري : لحظة! بين الحدثين أي قبلي وبعدي حدث شيء ما أكنت موجودة؟

جوليان : تمت المباراة، مباراة ما كان يجب أن تتم، إلا أنها تمت، مباراة سخيفة غير مجدية، بلا نتائج، مجرد

غلطة.

ماري : (متوجسة) تقول هذا من أجلي أم بشكل عام؟

جوليان : أقوله من أجلك أنت ومن أجلي ومن أجل المنجم وأقوله للجميع، الإنسانية ليست سوى مباراة دائما ما تنتهي بشكل سيئ كما أنني لم أطلب الاشتراك فيها.

ماري : أنت تنتقد لكن تؤمن بأنه ما من شيء في الأعلى.

جوليان : بالطبع، لو لم أكن قلقا ومشغولا بفكرة العدم لكنت قد تمسكت بالأشياء..وبالناس أيضا. عندما كنت أبدأ مشروعا كنت دائما ما أقول لنفسي «ما الفائدة»؟ «لماذا نكرس وقتا، وجهدا من أجل صنع التراب»... وعندما كانت امرأة تصيح في وجهي قائلة «سأحبك إلى الأبد» كنت أفكر أيضا ... في التراب.

ماري : وعندما كنت تحب؟

المنجم : (مصدوما) ماري؟ ما هذا؟

ماري : ألا ترغب أنت في طرح السؤال عليه؟

المنجم : أجل، ولكن...

ماري : (لجوليان) أجب عن السؤال الذي لم يستطع المنجم طرحه عليك، لأنه مهذب... وعندما..

ماري : وأنت... صمتا... عندما ..أيضا ... تراب؟

جوليان : (ضاحكا) لا، ابدأ، مع النساء كنت أجيد

التصرف.

ماري : بالطبع، فالأمر لا يستغرق وقتا طويلا.

المنجم : ماري!

ماري : (وهي تربت على كتف جوليان) لحسن حظك وحظهن كانت تنتابك فترات نسيان... من... التراب.

جوليان : حتى ولو كنت أسير في الشارع، فأنا لا أؤمن بالواقع. لا أرى غير المعاطف تسير والقبعات والأحذية أيضا. كنت أستفرغ البشر من لحمهم وأرى هياكلهم العظمية. أفكر أن كل شيء سيتلاشى ذات يوم. ثمة يد بداخلي تمنعني من الدخول إلى الحياة. كانت تلك اليد هي فكرة الموت.

لو أنهم أكدوا لي أن هناك حياة بعد الموت، لكنت تغيرت بكل تأكيد....

المنجم : هذا غريب! أن الذي كان يمنعك من الاستمتاع بالحياة هو التفكير بأنها النهاية؟

جوليان : (مترددا) نعم.

ماري : (متعاطفة إلى جوليان) سيدي، يا لك من مسكين! محزن أن تخطئ في كل شيء. أنت تصدر حكما خاطئا على الحياة - التي تعتقد أنك كنت تعرفها - بسبب الموت - الذي لا تعرفه-

المنجم : (بمكر) العتمة ترمي بظلالها على الضوء.

ماري : (مستنتجة وهي تربت على كتف جوليان) أرى أنك قمت بالدوران حول كل شيء من دون أن تغادر مكانك. حالتك تشبه حالتي. أنت غبي تماما مثلي، ربما توجد حديقة هناك، كما كانوا يقولون لنا ونحن مازلنا أطفالا، حديقة بها ورود وأشجار... أحب أن تكون لدي حديقة.. وعلى الأقل لن يطلب مني أحد هناك أن أقوم بالتنظيف.

جوليان : توقفي أرجوك! لايوجد شيء! لاشيء! تعرف تماما أن الموت هو النهاية.

ماري : إذن؟ قل لي أيها السيد الذي يعرف كل شيء، هل توقعت أنك ستكون هنا، في يوم من الأيام؟ نظرا للوقت الذي استغرقته حتى تتفهم ذلك الآن، إما أنك قد نسيت أو أن المحاكاة كانت متقنة!

(يشعر جوليان بالإهانة، يدخل الرئيس متذمرا)

الرئيس : أعتقد أن الدكتورة س... قد استقبلتكم كلكم، باستثنائي أنا.

المنجم : عزيزي الرئيس، لم يتحدث معها إلا الوافد الجديد. وهذا ينطبق علينا كلنا. ها نحن متعادلون عزيزي الرئيس. وهذا يعني أننا نعامل المعاملة نفسها وليس هناك أي مؤامرة ضدك.



(يهز الرئيس كتفيه ويجلس).

الرئيس : اضطررت إلى مغادرة غرفتي. لم أعد أحتمل أحاديثهم.

جوليان : من؟

الرئيس : السيدة الرئيسة وأبنائي.

جوليان : (مندهشا كثيرا) ماذا؟ هل يوجدون هنا رفقتك؟

المنجم : (مفسرا لجوليان) عندما يعود النزلاء إلى غرفهم يمكنهم الاستماع إلى ما يحدث في الأسفل. أي في المستشفى، حول أسرتهم. يكفي أن تضع كفيك فوق أذنيك لتسمع كل شيء.

ماري : أنت محظوظ لأن أسرتك من حولك.

الرئيس : وما الفائدة من سماع ما يقولونه!

ماري : عم يتحدثون؟

الرئيس : (كأنه يقدم دليلا) عن أي شيء سيتحدثون؟ عن المال وعن بيع كل شيء.

ماري : هل تركت لهم ثروة؟

الرئيس : (متضايقا) بالتأكيد. من تظنينني؟

ماري : (ضاحكة) حسنا أنا، على الأقل، لن أكون الأكثر ثراء في المقبرة!

المنجم : (يضحك أيضا) وأنا كذلك.

ماري : أنا التهمت كل شيء ولم أترك شيئا.

المنجم : شربت كل شيء. (ضاحكا) لم أستطع أبدا تحمل رؤية محفظة مملوءة بالمال. كنت أصرف بلا هوادة (ينظر إلى الرئيس) لم أكن أملك عقلية الأثرياء. ولم أعقد آمالا على ذلك لم تكن أظفاري معقوفة بما يكفي.

الرئيس : (بعداء) مع ذلك. لم تكن رجلا مستقيما. على أي حال لا يمكن للمرء أن يكون ثريا إلا لو كان غير شريف.

المنجم : (مبتسما) هذا الأمر تعلمه جيدا أكثر مني.

الرئيس : (وقد شعر بالإهانة) عفوا.

المنجم : أنا أقرأ الصحف، سيدي الرئيس دلبيك. لم أنس الفضيحة المشهورة المتعلقة بفواتير دلبيك المزورة.

الرئيس : مجرد افتراء.

المنجم : ولا التفويت الغريب لصفقة دلبيك.

الرئيس : ادعاء سياسي. كما أنني لا أقبل أن يوبخني عراف متجول بالأسواق.

المنجم : بالنسبة لي عدم الاستقامة مطبوع على بطاقة العمل: مهنة فاضلة. صادقة. وغير ملامة. تخيل لو أنني بدأت أحكي لسيدة حقيقتها

: «سيدتي، لا أرى مستقبلك بين الأوراق. ونظرا للصورة التي تحملينها والعنف الذي تتعاملين به



في حركاتك. فأنا شبه متأكد أنك لن تصادفي أبدا الحب في حياتك» إن زبائني يدفعون لي مقابلا. ولكن لماذا يدفعونه؟ كي أسليهم وأجعلهم يغادرون صالوني هم متفائلون راغبون في الحياة والأيام القادمة. أنا يا سيدي نزيه.

ولو حدث يا سيدي أن استشعرت - كما حدث في بعض الأحيان - أن الموت يحوم حولي احذر زبائني فإني لا أقول شيئا، لا شيء البتة، فأنا أراعي ضميري في هذا الأمر. أما أنت يا سيدي الرئيس فتتخذ سمة الرجل المحترم بينما تواصل ألاعيبك وتزداد ثراء على حساب الآخرين.

الرئيس : سأعود إلى غرفتي. أفضل سماع قذارة أبنائي وهم يتفاوضون حول كيفية تبديد أموالي.

(يغادر)

جوليان : رئيس ماذا؟

المنجم : لقد ولد رئيسا. كان في دار الحضانة يرتدي سترة أنيقة وربطة عنق داكنة ونظارة وشعر مفروق بعناية. كان الرضيع يصيح بين رضعتين أنا رئيس، ونجح في ذلك!

تعود الدكتورة س... يلحق بها مساعداها.

تعترضها ماري ممسكة بذراعها متوسلة.



ماري : يا دكتورة س... هل لديك معلومات عن حالتي.

الدكتور س... : سيدة مارتان، سأقدمها لك حال توصلي إليها. حالتك مستقرة للآن. (تخترق الغرفة لتلحق بالمر الآخر) اعذريني.

ماري : (تنهار على المقعد محبطة). هذا، هذا يعني أنني لن أتحرك أبدا. سأسبح على ظهري مزروعة بين الأنابيب وجهاز الإخطار. محترقة على مهل وفي حالة سيئة.

(يربت المنجم بلطف على كتفيها)

المنجم : هيا تشجعي، انظري إلى حالتي، أنا هنا منذ ستة شهور.

ماري : (بنبرة صدق)، كل هذه المدة، لو كنت أنا لما تحملت وتمنيت أن يفصلوا الأنابيب. (تعتذر للمنجم عن قسوتها) ليس مفيدا أن أنتظر طويلا. لست صالحة للتأمل والتفكير. يجب أن أكون منشغلة بعمل ما. هذا يشغل تفكيري وإذا بقيت بلا شغل، فإني أخاف.

(يقترب منها جوليان. يجلس بحنو إلى جانبها).

جوليان : لماذا؟

ماري : لا أدري. أحس بأني مذنبة. أقول لنفسي: «هل من حقي أن أبقى بلا شغل هكذا؟»

جوليان : أنت لا تحبين نفسك؟

ماري : وأنت هل تعرف أحدا يحب نفسه؟

(يتبادل جوليان والمنجم نظرات تبحث عن الإجابة).

جوليان : لا.

المنجم : لا.

جوليان : (لحظات) أنا متأكد أنك منحت بناتك كثيرا من الحب.

ماري : بطبيعة الحال. هذه الأشياء جزء من الطبيعة. ثم إنه كان بإمكاني أن أعطي الكثير من الحب لو كان الكثير من الناس يرغبون فيه. (لحظات) المشكلة تكمن في أنا. فأنا أتعامل مع الصغار بشكل أفضل من الكبار. الصغار اللطاف بابتسامتهم الضاحكة وعيونهم المستديرة المفعمة بالمحبة أعرف جيدا ما أقوله لهم، ما يعجبهم، أدغدغهم، أقبلهم، أداعبهم أما الكبار فأنا مذعورة منهم دائما. لا أدري ما يصيبني. أحس أنهم سيكتشفون نواياي.

جوليان : أي نوايا؟

ماري : إني لست مثيرة للاهتمام.

(تمنع دمعة بمنديلها. يقدر المنجم وجوليان أوجاعها)

جوليان : (بلطف) من قال إنك غير مثيرة للاهتمام.

ماري : لا أدري. لا أحد. لكن لا أحد قال لي العكس أيضا. هذا بالتحديد ما نقصني. حنان هنا أو هناك. لا نستطيع أن نقول إنني كنت أرغب في المجاملات (يرجع الرئيس حاملا في يده مفكرة أرقام الهواتف)

الرئيس : لا. لا. لا... يجب قطعا أن أوقف هذا الأمر. يريدون بيع كل شيء.

جوليان : إذن؟

الرئيس : ليس هذا أوان البيع. السوق منخفض جدا. والبورصة سيئة. سيخسرونني أموالا كثيرة. يجب أن أجري مكالمة هاتفية لبنكي. (يدق جرس الاستقبال) أصر على مقابلة الدكتورة س... هل تسمعون؟ أنا مصر على ذلك.

جوليان : (مخاطبا ماري) هذه أفكار عظيمة. هل كنت تريدين أفكارا مثل هذه؟
(تنفجر ماري ضاحكة).

الرئيس : (مواصلا دق الجرس) ليس لأن دمي يجري في عروق هؤلاء الأغبياء، المتحذلقين، المغرورين الصغار، كي أتركهم يبددون رأسمالي.

المنجم : أغبياء، أغبياء جدا؟

الرئيس : نعم.

المنجم : إنهم من نسلك.

الرئيس : (مغتاظا) عفوا.

يكاد يختنق غضبا، لكن ليس بمقدوره الرد.

يدق الرئيس الجرس.

تظهر الدكتورة س... يلحق بها مساعداها.

تخترق الغرفة من دون أن تعيرهم أدنى اهتمام.

الرئيس : آه دكتورة س... (تمر أمامه). منذ لحظة قمت بدق الجرس في طلبك.

الدكتورة س... : سيدي، لا يدق الجرس لأجلي.

الرئيس : لكني أصر...

الدكتورة س... : (بنبرة صارمة) لا يمكنك الإصرار على أي شيء. سأحدثك عندما يحين دورك.

(يلتزم الرئيس الصمت وقد شعر بالإهانة).

تغادر الدكتورة س...

أعجب النزلاء أن يلزم الرئيس حدوده.

يخاطب المنجم جوليان بصوت منخفض في شكل منّ منَ التواطؤ.

المنجم : ينبغي أن تسأل الرئيس. الرئيس رجل يمكنه أن يفسر كل شيء وببراهين قاطعة، وبمعنى آخر، فإنه أبله شامل.

جوليان : أيها الرئيس، انضم إلينا.

يلحق بهم الرئيس كي يحافظ على مظهره.



ربما ستتمكن من مساعدتنا... كنا نتساءل عما سيحدث بعد الموت.

ندرك أن جوليان والمنجم انخرطا في غبطة خبيثة ساخرين من الرئيس.

الرئيس : حسنا ماذا عساني أقول. إذا لم تتلقوا تعليما دينيا فأنتم لم تتعلموا شيئا.

جوليان : لا شيء.

الرئيس : ستصعدون إلى السماء، لتحاسبوا عن أفعالكم في الأرض. أي طفل صغير سيقول لكم هذا الكلام. أحفادي على الخصوص.

جوليان : ألا تخشى هذه اللحظة؟

الرئيس : بكل تأكيد.

المنجم : لكن بالنسبة لألاعيبك المالية الصغيرة، أيها الرئيس دلبيك، ألا تخشى من ساعة الحساب؟

الرئيس : يجب أن تقدم أدلة عليها يا سيدي.

المنجم : اسمع. حساباتك السرية في سويسرا ولوكسمبورج، في الأعلى أليس كذلك؟ أربعون عاما من التهريب والتلاعب بالفواتير

الرئيس : هذه أخطاء طفيفة.

جوليان : (بسخرية) إنه يسامح نفسه.

المنجم : (بسخرية أيضا) سيسامحونه.

الرئيس : (مشيرا إلى السماء) الرب سيسامحني.



المنجم : هذا عجيب. كنت دائما أعتقد أن الأشخاص الذين يعترفون بخطاياهم، يطورون وعيا أخلاقيا، كي يكفوا عنها، لكن هناك من يعترف، كي يتخلص من خطاياه (كما لو كان يتقيأ)، ثم يعاود الكرة.

(يدوي رنين قوي، يفزع الجميع إلا جوليان)

جوليان : ماذا يحدث؟

(تظهر الدكتورة س... فجأة. تعبر الغرفة. تلاحظ ضوءا لامعا يومض بالأحمر فوق لوحة التحكم اللامرئية)

المنجم : أحدنا سيرحل.

جوليان : لكن إلى أين؟ إلى أعلى، أم إلى أسفل.

المنجم : لا نعرف إلا في اللحظة الأخيرة داخل المصعد.

(الدكتورة س... تلتفت نحو الضيوف)

الدكتورة س... : هل من الممكن أن تتركوني وحدي؟

يتنفس الجميع الصعداء تلقائيا.

يستمر رنين الجرس بقوة ملحة ومقلقة.

تمسك الدكتورة س... بماري في اللحظة الأخيرة عند مدخل الممر A.

الدكتورة س... : السيدة مارتان، أرجو أن تبقي معي.

ينظر الآخرون إلى بعضهم بدهشة. يدخل المستخدمان المرتديان اللون الأبيض. يطلبان بإشارة من النزلاء غير المعنيين أن يغادروا على

وجه السرعة.

تقترب الدكتورة س... من ماري التي تبتسم رغم الرعشة الخفيفة التي انتابها.

ماري : هل حان دوري؟

الدكتورة س... : نعم.

ماري : أتمنى أن يكون الخبر سارا.

الدكتورة س... : ليس من حقي أن أخبرك!

ماري : (ترتعد) يقول المثل الشائع «ما من خبر معناه أن هناك خبرا جيدا».

الدكتورة س... : سأرافقك إلى المصعد.

تمسك الدكتورة س... بذراعها لتساعدها على الدخول إلى المصعد.

ماري : نعم أحتاج مساعدتك، قلبي ضعيف. (لحظات) أمر أن يكون القلب ضعيفا، أليس كذلك؟ مع أنه العضو الوحيد الذي لم أستعمله حقا.

الدكتورة س... : هيا، لا داعي للخوف.

ماري : لا ينبغي أن أقول إن قلبي متعب ولكن قد أصابه الصدأ.

الدكتورة س... : وداعا سيدة مارتان.

ماري : وداعا يا دكتورة س... حظا موفقا.

تغلق الأبواب.



يطل النزلاء ليعرفوا مصير ماري. بعد لحظات يشير السهم إلى الأعلى.

يرتقي المصعد إلى فوق.

يتوقف الجرس عن الرنين.

لحظات من الصمت الحزين.

يدخل المنجم والرئيس بالتتابع إلى غرفة الاستقبال محدقين إلى البابين.

يبدو جوليان مصدوما ليتفوه بأي كلمة.

المنجم : سيدة مسكينة.

الرئيس : (يخاطب المنجم قلقا) قل لي، منذ مدة وأنت هنا، إذا ابتدأ اليوم هكذا. هل يعني أن الكل سيصعد إلى فوق؟

المنجم : لا.

الرئيس : حسنا.

المنجم : أهذا هو كل ماتشعر به؟

الرئيس : (يفكر) ربما إذا ابتدأ بزبون صاعد، فهذا يعني أن كل التالي سيهبط.

المنجم : أنت تذكرني بعمتي «زوي» التي كانت تقرأ بتلذذ صفحات الوفيات كل صباح وكلما عثرت على أحد من جيلها هبت صارخة: «حسنا، أحد آخر» كما لو أن لرؤية رحيل معاصريها سيجعلها أكثر حيوية.

الرئيس : (شارد البال) طريف ما تقوله. أحس بالتأثير نفسه.

المنجم : لا تفكر إلا في نفسك.

الرئيس : (يهز كتفيه) بالتأكيد، بمن سأهتم إذن؟

المنجم : (يشير جوليان إلى الرئيس) صديقي العزيز. ها قد عثرنا على شخص محب لنفسه.

(ينشغل جوليان متأثرا بما شاهده، باحثا عن مخرج، بعصبية)

جوليان : لن أستطيع تحمل هذا الوضع.

(تنظر الدكتورة س... إلى وميض ضوء آخر على لوحة التحكم. تلتفت نحو مساعديها).

الدكتورة س... : أحدهم قادم.

المنجم : آه شخص جديد! يا للحظ!

تخاطب الدكتورة س... مساعديها: ابقيا هنا، سأذهب لإحضار ملف القادم.

تنصرف.

يفاجأ جوليان بهذا التحول. يتوقف عن الدوران. ينظر صوب المصعد.

يجلس المنجم والرئيس على المقعدين كما لو أنهما يشاهدان مسرحية.

ينتظران.



يعود الصوت العاصفي الرهيب الذي سمعناه قبل وصول جوليان في البداية. يتعاظم الهدير وينتفخ ويتحشرج، وعندما يصبح غير محتمل يختفي فجأة. رنين، تفتح الأبواب.

تظهر فتاة شقراء جميلة. تبتسم بلا دهشة كما لو كانت قد تجلت، كما لو كانت فينوس ابوتيشيللي خارجة من المياة المقدسة.

يبدو جوليان مفتونا.

تترجل بخفة من المصعد. تبتسم للنزلاء والمستخدمين.

لورا : صباح الخير.

يقف المنجم لاستقبالها.

المنجم : صباح الخير، لا تخافي.

لورا : (تنفجر ضاحكة) لماذا تريدني أن أخاف؟

المنجم : أقدم لك جوليان...

تنظر لورا إلى جوليان باهتمام. ينظر جوليان فجأة في اتجاه آخر كي يقطع طوعا أثر السحر.

المنجم : السيد الرئيس... أوه... (يصطنع التفكير)... ها هو الرئيس...

الرئيس : دلبيك.

المنجم : (يدعي عدم سماعه) عفوا.

الرئيس	:	(صارخا) قلت دلبيك.
المنجم	:	وأنا أدعى المنجم رادجابور.
لورا	:	وأنا سعيدة أن أتواجد هنا.
		يعبرون عن اندهاشهم.
الرئيس	:	يا مسكينة، أين تعتقدين نفسك؟
لورا	:	(بضحكة صغيرة) مجرد القدرة على المشي بشكل طبيعي، من دون أجهزة، وبلا تشنجات، وبلا آلام. يكفيني كي أعرف ثم إنني تخلصت من تلك الأنابيب جميعها ومن المسبار والقسطرة... (ترسم خطوة راقصة) أشعر برغبة في الرقص.
المنجم	:	(مخاطبا الاثنين) المسكينة الصغيرة، أخشى أن تظن نفسها ميتة.
		(تدخل الدكتورة س... تبتسم عند رؤيتها).
الدكتورة س...	:	(تدخل وتبتسم عندما تراها) صباح الخير، لورا.
لورا	:	صباح الخير، دكتورة س...
		اندهاش النزلاء. يخطو جوليان خطوة نحوها.
جوليان	:	كيف؟ هل تعرف أحدكما الأخرى؟
الدكتورة	:	أقامت لورا هنا بعض الوقت.
لورا	:	بل كدت أقيم مرتين. الأولى عندما دخلت في غيبوبة، غادرت جسدي وارتقيت عبر الممر اللولبي. كنت خفيفة، كل الخفة، أصعد بشكل دائري وكأني



أمتص نحو ضوء لا أكاد أميزه، لكني هبطت قبل الوصول إلى المستوى الباهر.

الدكتورة س... : نعم كانت مجرد إغماءة عميقة.

لورا : في المرة الثانية، قضيت هنا ثلاثة أيام. وهذه المرة.

الدكتورة س... : سنرى...

استبد بجوليان فضول ملح.

جوليان : هل أنت مريضة مرضا خطيرا؟

لورا : (من دون إحساس بالحزن) لم تكن صحتي قوية.

ينظران إلى بعضهما، ومرة أخرى يشيح ببصره.

الدكتورة س... : لورا، هل نذهب إلى غرفتك؟

لورا : أوه لا!

الدكتورة س... : يجب أن أقول لك أشياء سرية جدا.

لورا : لا سرية بشأن صحتي. اعتدت منذ طفولتي أن يتحدث عنها وأن تعقد المحاورات حول سريري أو مقعدي. وأن تنشر حولها النشرات الطبية وأن يهتم ربما كان ذلك سببا في عدم اهتمامي بها أو حديثي عنها.

الدكتورة س... : (مصرة) لورا، أرجوك، هيا بنا إلى غرفتك.

لورا : (بحزم هادئ) لا، بماذا ستعلمينني؟ أن قلبي لا ينبض تقريبا؟ وأنه يهدد بالتوقف إذا لم نزرع حالا مكانه قلبا آخر. أعرف هذا سلفا. كما أعرف أنني

رهينة النوايا الحسنة للصدفة أن يموت أحدهم بسرعة وفجأة وكما ينبغي لكي أسرق قلبه. أعرف هذا أيضا.

الدكتورة س... : (بابتسامة) لم تتغيري.

لورا : لماذا تريدينني أن أتخذ مظهرا رزينا، عندما يتعلق الأمر بصحتي؟ الأمر لا يطاق حالما نفكر فيما سيأتي.

الدكتورة س... : إلى اللقاء، يا صغيرتي لورا.

الرئيس : (واقفا) هل من الممكن أن...

الدكتورة س... : لا.

الدكتورة س... تنصرف برفقة مساعديها.

المنجم : المساواة، يا عزيزي، المساواة.

الرئيس : لم أشاهد أبدا إهانة مثل هذه.

لورا : (تلتفت صوب جوليان) ماذا تحب أن تفعل في الحياة؟

جوليان : (وقد فوجئ) أوه... لا أعرف... وأنت؟

لورا : جواب محبط.

جوليان : (منكمشا) أنا رجل مُحبِط.

ثم يذهب لينعزل في ركن من البهو.

تلتفت قليلا نحو المنجم والرئيس.

لورا : ماذا كنتم تفعلون قبل مجيئي؟

المنجم : كالمعتاد... نهاجم بعضنا البعض، نعض بعضنا لنقوي أسناننا.

لورا : هل نواصل؟

المنجم : لا نعرفك جيدا لكي نقول السوء عنك.

لورا : لدي فكرة.

المنجم : قولي.

لورا : ستصدمون.

المنجم : قولي

لورا : ها هي: أود لو أن أحدا منكم أخذ يغازلني.

الرئيس : هذا سخيف!

لورا : ألا تريدون؟ فقط من أجل أن نضحك... هل تفهمون، بسبب صحتي، لم يكن الفتيان أبدا يتعاملون معي جيدا. بينما هنا فلا شيء حقيقيا... كما أن لا شيء يدوم... ربما يمكنكم أن تصطنعوا ذلك.

جوليان : أن نصطنع ماذا؟

لورا : أنا سأدعي أنني بصحة جيدة، انظروا يمكنني أن أتحرك وأن أدور حول نفسي، وأنت (مخاطبة المنجم) وأنت (مخاطبة الرئيس) وأنت (مخاطبة جوليان) تصطنعون أنكم تغازلونني. أوه، أرجوكم قولوا نعم!



الرئيس : لا.

لورا : فقط من أجل أن نضحك.

المنجم : حسنا، سأغازلك قليلا.

لورا : قدر عود رفيع؟

المنجم : بل قدر شجرة الحميرة الضخمة.

(تجلس لورا مستمتعة.

يقترب المنجم من جوليان هامسا في أذنه، بسرعة)

المنجم : افعل ذلك أنت، أحس أنها ستفضل قليلا من الغزل من طرفك عن شجرة الحميرة.

جوليان : لا تعتمد عليّ.

المنجم : بل هي من يعتمد عليك.

جوليان : لا أرغب في ذلك.

المنجم : لماذا؟ ألا تعرف؟

جوليان : أعرف كلمات الغزل جميعها وأحفظها عن ظهر قلب. قلتها مئة ألف مرة. أنا مريض سلفا.

المنجم : فقط، من أجل ترضيتها.

جوليان : وما الداعي؟

المنجم : عندما تريد أن تغازل أحدا كي ترضي نفسك، تجد الكلمات المناسبة، لكن حينما يتعلق بترضية شخص آخر، فإنك تصبح غير مهم.

ينكمش جوليان حول نفسه من دون رد.

يقترب المنجم من لورا ويجلس بجانبها.

المنجم : قولي لي يا طفلتي هل تريدين أن أبدأ، بالقمر، والنجوم، والأزهــار، والحيـوانـات، أم أبـدأ بك مباشرة؟

لورا : ابدأ بي مباشرة.

المنجم : فليكن.

يتنحنح باحثا عن كلام ليقوله، لكنه لا يعثر على أي كلمة. يتنحنح مرة أخرى محرجا.

نلاحظ أنه يريد أن ينطلق في خطاب غنائي غير أنه لايجده. لا يتوقف عن طي ساقيه وفتحهما.

ينظر الرئيس إليه بتهكم.

يهز جوليان كتفيه.

يحاول المنجم للمرة الثالثة، لكن الإلهام لا يسعفه.

لورا : (وقد توصلت إلى نتيجة) كم تجيد التقليد!

المنجم : (مذهولا) ماذا أقلد؟

لورا : الارتباك.

ينظر المنجم إلى الرئيس وإلى جوليان نظرة المنتصر.

يحاول متشجعا أن يتمتم بمجاملة، لكنه يبقى فاغرا فاهه صامتا. تهنئه لورا بحرارة.

لورا : نعم، أحسنت.

المنجم (مرتبكا) لم أفعل ذلك عن قصد.

لورا : (معجبة) أوه نعم، أحسنت.

المنجم : (يلح بصوت خافت) لم أدع أي شيء.

لورا : أجل، أجل، هذا مثير للغاية. ينبغي أن تعلم أن ما يحدث، يحدث لي لأول مرة.

يلقي المنجم نظرة انتصار تجاه الاثنين الهازئين.

لورا : أريد المزيد.

برداءة كبيرة لم يجد المنجم إلا قولا مبتذلا.

المنجم : آنستي، أنت جميلة جدا.

لورا : وأنت أيضا جميل جدا

ينفجر الرئيس وجوليان ضاحكين بخبث بهيج.

يلتفت المنجم نحوهما غاضبا.

المنجم : ألا يمكنكما أن تشغلا نفسيكما في مكان آخر؟

تهدئ لورا من روعه وهي تشد كفه بنعومة.

لورا : أنت تقلدها بشكل جيد أيضا.

المنجم : ما هي؟

لورا : البلاهة. عندما نحب، نصبح بلهاء.

ينظر المنجم مرة أخرى نظرة انتصار إلى الاثنين الآخرين.

تدخل الدكتورة س...



الدكتورة س... : لورا.. أيها السادة، أريد أن تتركوني وحدي برفقة...

لورا : الأمر غير مطروح أساسا للنقاش، منذ لحظة طلبني المنجم للزواج، أليس كذلك؟

الدكتورة س... : لورا، أنا جادة.

لورا : وأنا كذلك. (فجأة تصبح حزينة) إجمالا، كنت أتمنى...

الدكتورة س... : يجب أن أحدث جوليان.

يحس جوليان بقشعريرة خوف. يبتعد الآخرون باحترام.

تتجه لورا بوداعة نحو الممر A. في أثناء مرورها أمام جوليان، لم تستطع منع نفسها من محادثته.

لورا : أحسنت، عندما رفضت اللعبة. كنت أتمنى أن ألتقيك هناك على الأرض كنت سأتيم بحبك.

وقبل أن تترك له فرصة الرد، تمضي للحاق بالمنجم.

الدكتورة س... : يا جوليان، للتو دخلت غرفة العمليات. اكتشف الفريق الطبي نزفا داخليا متعددا.

جوليان : هل سأتحسن.

الدكتورة س... : يفعلون كل شيء من أجلك. (لحظات) أنت تمر بلحظات عصيبة.

جوليان : لماذا تقولين لي هذا الكلام؟

الدكتورة س... : كي لا أكتم الخبر عنك.

تهم بالخروج.

جوليان : كيف؟ أهذا كل ما لديك؟

الدكتورة س... : أليس هذا كافيا؟

تخرج تاركة جوليان وحيدا عالقا بقلق موجع. تظهر لورا أمام باب الممر متأملة إياه ومدركة ما يدور برأسه. تحدثه من دون تكلف وبلا دلال.

لورا : لا تخف.

جوليان : (بعدائية) أود لو كنت مكاني!

لورا : ولكنني في نفس وضعك.

جوليان : (متفهما) سامحيني (بابتسامة مقتضبة) من النادر ألا يظن المرء نفسه متفردا.

لورا : إذا فرض عليك أن ترحل في صندوق. هل ستفضل الصندوق الواخز بالمسامير أم المفروش بالقماش الناعم؟

جوليان : بالقماش الناعم.

لورا : إذن لا داعي للخوف. مادمت في كل الأحوال. لا تعرف ما ينتظرك. استمر بتفضيل القماش الناعم على المسامير. وزد ثقتك بنفسك.

جوليان : هل لديك فكرة عما يوجد في فوق؟

لورا : عندي أمل.

جوليان : (محبطا) كيف يمكن أن نكون متفائلين بهذا القدر؟

لورا : عندما لا نستطيع فعل أي شيء. تعودت أن أزرع الحرارة في كل مكان، ربما لأن عضلاتي لا تملكها، أحب الحياة وإن كانت هي لا تبادلني الحب، أحبها بجنون، وأحب الموت أيضا (لايجرؤ جوليان على الاعتراف بأنها سببت له ارتباكا).

جوليان : لا بد أنك كنت تروقين للرجال.

لورا : لا. بل كنت أخيفهم لا يمكن أن تتصور أن شابا جادا يمكن أن يقع في حبي يعلم الجميع أنني أعيش طويلا يعلم الجميع أنني لن أستطيع أن أحمل أو أنجب طفلا، على الأرض أنا مجرد شبح لا أقدم مستقبلا، هناك يعيشون كما لو كانوا خالدين هم لا يحبون، ولكنهم يستثمرون.

جوليان : لا أصدقك.

لورا : ذات مرة قام أحد الشبان بمغازلتي. كان يهاتفني ويزورني ويرسل لي الأزهار. كان يقول لي إنني أهم امرأة في حياته. وكدت أصدقه إلى أن روت لي إحدى صديقاتي، كان صديقي هذا قد فقد منذ عدة سنوات أخته التوأم ولم يستطع قبول

فقدانها. كان يحاول من خلالي التكفير عن ذنبه. هل فهمت؟ من خلالي كان يحدث فتاة أخرى. كنت شفافة (صمت) فيما بعد رفضت استقباله (صمت) والأسوأ أن معاملتي جعلته تعيسا.

جوليان : والآن؟

لورا : تزوج من امرأة عادية ينتظر مولودا يسبح في السعادة. كان حبه لي مجرد حداد لا غير. أكره أن يشفق عليّ. لا أريد الشفقة. لوثتني الشفقة. (صمت) هل تعتقد أني شديدة العجرفة؟

(يرن الجرس بقوة. لوحة التحكم تومض من جديد.

يقفز جوليان ولورا متفاجئين)

تهرع الدكتورة س... ومساعداها. تقدر الوضع ثم تلتفت نحو جوليان.

الدكتورة س... : جوليان، جاء دورك.

يستولي على جوليان ذعر كبير، فيمتقع لونه. يتجمد في مكانه فزعا بهيميا.

جوليان : أنا؟!

الدكتورة س... : نعم، اقترب من باب المصعد.

لا يتحرك جوليان.

يحيط به المساعدان ويدفعانه نحو المصعد.

تضع الدكتورة س... كفها فوق كتفه لتهدئته. لكن جوليان لم يعد بمقدوره تحمل الرنين الحاد ولا هذا الانتظار العبثي. يرتعد.

جوليان : (محدثا نفسه) سأموت. أنا متأكد أني سأموت.

يتخلص فجأة من قبضة الدكتورة س... يلتفت نحو لورا كما لو أنه يبحث عن مخرج.

جوليان : أنا خائف.

لورا : لا يجب أن تخاف. أنا لا أخاف أبدا.

جوليان : أنا خائف يا لورا. حدثيني.

لورا : ماذا تريدنني أن أقول؟

جوليان : (محموما) حدثيني عن نفسك. أسرعي. عن نفسك! عجلي، لم يتبق أمامي غير دقيقة. أين تقطنين؟

لورا : (تجيب بنفس السرعة) في بيت كبير على شاطئ البحر حيث النوافذ مشرعة على الأفق.

جوليان : هل هناك شاطئ؟

لورا : نعم شاطئ طويل أبيض وأزرق كم أحب أن ينزهني أحد على الشاطئ.

جوليان : ثم ماذا تحبين أن تفعلي؟

لورا : أحلم وأسمع الموسيقى ومع الموسيقى أسمع الصمت من حولي.

جوليان : وماذا بعد؟

لورا : اقرأ بنهم كي أعيش الحيوات التي لن أستطيع عيشها.

جوليان : وماذا بعد؟

لورا : أعتقد..أني أحب أن أقع في الحب.

جوليان : (خائفا) أوه... (وأنا أيضا فجأة يتأملها، يهتف بانفعال وصدق) لورا أنت جميلة.

لورا : (متوجسة) لم تقل هذا الكلام؟

يزداد رنين الجرس، لكن المصعد لم يصل بعد.

يستغل جوليان هذه اللحظات الأخيرة.

جوليان : منذ رأيتك وأنا أفكر في هذا الأمر، لكني لم أكلف نفسي عناء البوح بذلك: (بانفعال) عندما فتحت أبواب المصعد وظهرت وجدتك مدهشة وغريبة ورائعة. مثل لؤلؤة محارة فريدة.

فكرت: أنا لست جميلا ولكن ما جدوى ذلك ما دامت جميلة لنا نحن الاثنان.

لورا : اصمت.

جوليان : ثم إن الدكتورة س... نادتك لورا. اسم من مقطعين بسيطين مثل صباح الخير (صباح الخير لورا) نغمتان تتطلبان ضم الشفتين وكأنهما تستعدان لتقديم قبلة قلت لنفسي لست سوى جوليان، لكن



ماذا يهم ما دامت موسيقانا لنا نحن الاثنان.

لورا : اصمت.

جوليان : (يـزداد ثقة بنفسه من دون أن يعي ذلـك) بعد ذلـك سمعتك وأنـت تواجهـين الـدكتـورة س... بابتسامة كأنك مقدمة سفينة تواجه الرذاذ والزبد والعاصفة، فكرت لست شجاعة ولكن ما أهمية ذلك، فشجاعتها تكفيها.

لورا : اصمت.

جوليان : وما إن اكتشفت هذه القوة ذاتها، حتى أحسست بضعفها أيضا. ذلك الضعف الذي ينشأ من توتر القوة وهي تسير نحو تحطيم نفسها. حينئذ قلت لنفسي ربما ستحتاج أن أمد لها يد العون (مبتسما) في حياة أخرى. حياة لن أفشل فيها. يمكنني أن أقدم لك يديّ معا. وهـذا ما لم أقله. وفي هذه اللحظة بالذات، هناك أشياء أخرى لم أقلها:

أريد أن نكون معا في ذلك البيت الكبير على شاطئ البحر نسمع الموسيقى وكما نسمع الصمت ونقرأ قليلا ونعيش الحياة أكثر.

لورا : اصمت

جوليان : لأنني فجأة أحس أمامك بحمى خاطفة. حمى تمنحني الهواء والشهية والحماس. حمى لأقتلع

الأرض. لأمنحك ساقيك وأخذك بين ذراعي. أن أدق الأجـراس الطنانة كل ساعة أن أبعد الموت

(صمت) هذا غريب، لم أعد خائفا.

يتوقف رنين الجرس. يسود صمت قاس.

يمكث جوليان ولورا ذاهلين ومشوشين.

تعود الدكتورة س (بهدوء)... صوب جوليان.

الدكتورة س... : كان إنذارا خاطئا. لم يحن موعدك بعد. أحيانا تحدث هذه الأشياء، لكنها نادرة. لا بد أن طارئا وقع خلال عمليتك الجراحية.

جوليان ولورا يبدوان مرهقين.

الدكتورة س... : سأترككما.

يمكث جوليان ولورا للحظة جامدين، كما لو كانا مكبلين إلى مصيرهما.

الدكتورة س... تلتفت نحوهما لحظة مغادرتها، وهي تفكر ثم تقول لهما.

الدكتورة س... : اعتذر عن سوء اللبس.

تعتقد أنها قالت ما يجب قوله وتتصرف.

ينظر جوليان ولورا إلى بعضهما متحجرين.

جوليان : (كأنه يرجع صدى صوتها) معذرة...

ينفجر ضاحكا بعصبية، كأنه تعرض لصدمة.

تبدو لورا قلقة، ويبدو جوليان مجنونا.

لورا : جوليان!

جوليان : (بهستيرية) معذرة! معذرة! لبس!

ينقض على المقاعد هائجا. يقلبها رأسا على عقب مستخرجا العنف الذي يسكنه. يحطم الغرفة، ثم ينهار على الأرض منهارا بنحيب عصبي.

جوليان : فات الأوان. قلت لك. فات الأوان.

لورا : (بلطف) ماذا قلت؟

جوليان : أني أحبك.

لورا : (مرعوبة) لا لم تقل هذا!

جوليان : بلى. بلى.

لورا : لا. أنت تحدثت عن أشياء ملموسة فقط. عن تفاصيل. أحببت أن تعيش في بيت كبير على شاطئ البحر، وأن تستمع إلى الموسيقى. أليس كذلك؟

جوليان : بلى. قلت هذه الكلمات وحدي مئات المرات، كتمرين رياضي. لكن هذه المرة الأولى التي أحس بحرارتها.

لورا : (تقاوم مشاعرها مرتعشة) لم تقل شيئا.

جوليان : بلى قلت، قلتها لك.

ينظر إليها بإمعان. ينهض مقتربا منها.

لورا : أنت لا تشفق عليّ. أليس كذلك؟



جوليان : مطلقا.

لورا : (وقد اغرورقت عيناها) هذا ليس عدلا. لم أشعر بالخوف أبدا. والآن، أحس خوفا رهيبا.

جوليان : من أي شيء؟

لورا : من فقدانك.

يعود المنجم. يفاجأ بأنهما متعانقان.

المنجم : أوه، معذرة.

جوليان : (مبتهجا) حقيقة، منذ صارت الأمور إلى تحسن، أصبح الجميع يكثر من الاعتذار.

المنجم : (مخاطبا لورا) يا لها من خيبة! اعتقدت أني فزت بقلبك بمغازلتي اللامعة.

يضحك الثلاثة.

تظهر الدكتورة.

الدكتور س... : أريد أن أتحدث مع جوليان.

لورا : (قلقة) لا تحرميني منه.

تبتسم الدكتور س... برقة للورا.

لورا : (ملحة) سيبقى هنا وأنا أيضا. لا أحد منا يرغب في الشفاء.

يشدها المنجم من ذراعها بلطف.

المنجم : حسنا سأستعيد وظيفتي. جامع الأسرار. عادة ما يكون هذا دوري في حكايا الحب (بسخرية) بلا



شك يرجع السبب إلى شكلي المساعد.

يخرجان.

تقترب الدكتورة من جوليان.

الدكتورة س... : أعلم ما حدث قبل قليل. كدت تغادر الغيبوبة.

جوليان : (مبتسما) نعم هذا ما حدث. انقشع الضباب فجأة. وماذا عن لورا؟

الدكتورة س... : لا يمكنني قول المزيد.

جوليان : بماذا يفكرون هناك؟

الدكتورة س... : يجب أن نعثر لها على قلب لنزرعه. هذا هو الحل الأخير.

جوليان : هل من أمل؟

الدكتورة س... : «أمل» هذه هي الكلمة المناسبة. يجب أن يموت شخص لكي تعيش أن تموت ويحمل إلى مستشفى سان لوي. خلال الساعات القادمة.

جوليان : ألا تعرفين؟

الدكتورة س... : أنا لا أعرف من يموت الآن أو غدا!

جوليان : لكنهم يخبرونك أليس كذلك.

الدكتورة س... : (بدهاء) عمن تتحدث؟

جوليان : أجل القدر لا أدري هناك بالتأكيد الكتاب الكبير حيث كل شيء مكتوب (بحدة) ماذا كتب في ملفاتك؟

الدكتور س... (تضم الملفات إلى صدرها بقوة) لدي بعض العناصر فقط.

جوليان : وإذن؟

الدكتورة س... : بضعة عناصر فحسب، مثل طبيعتك، صحتك، حكايتك، لكن ليس اختياراتك. (فجأة بدقة أكبر) تأتون إلى العالم محملين بالمعطيات مثقلين بالموروثات بأسره بمحيط مرتبطين بقريه ببلد بلغة وعصر كل هذه الأشياء تميزكم وتمزلكم وتجعلكم مختلفين. لكن شيئا وحيدا، يجعلكم متماثلين، أنكم أحرار. إنها الحرية. هل تفهم أنت حر.

أحرار لإهلاك أجسادكم، أحرار لقطع شرايينكم، أحرار في ألا تشفوا من حزن سببه حب ضائع، أحرار في أن تظلوا تعيشون في ماض سحيق، أحرار في أن تصبحوا أبطالا أو أن تتخذوا قرارات خاطئة، أحرار لكي تفسدوا حياتكم أو تسرعوا بموتكم، صدقوني ما من كتاب كبير للقدر بعض العناصر فحسب مكتوبة على بطاقة صغيرة ما يمكن أن نحسبه حريتكم.

جوليان : ماذا تقصدين؟ لا أرى ما يمكن أن تختاره لورا وقد جاءت إلى العالم بجسد معطوب.

الدكتورة س... : يمكنها أن تختار بألا تتحمله وأن تلعب دور المريضة



وأن تنغمس في الاكتئاب وسريعا سيلتهمها الموت. لكن لورا اختارت أن تحب الحياة. أن تكون فرحة وخفيفة ومحبة للجميع. وضمتها الولادة في الظلام بينما هي اختارت النور. الأشخاص جميعهم الذين صادفوها يتذكرونها كشمس مشرقة.

جوليان : أحبها.

الدكتورة س... تتوجه صوب الممر V ثم تلتفت بلطف نحو جوليان.

الدكتورة س... : لقد أدركت ذلك.

جوليان : هذا غباء أليس كذلك؟

الدكتورة س... : الحب؟ لا أبدا (صمت) في المقابل يجب أن تسأل نفسك بصدق إذا كنت تحب لورا حقيقة أم أنك وقعت في حبها لأنه حب مستحيل.

صعق جوليان من هذه الملاحظة

الدكتورة س... : سأذهب لرؤيتها، اتركها لبضع دقائق.

تخرج الدكتورة س... من الممر A.

يصادفها الرئيس، يراقبها وهي تختفي.

الرئيس : بطبيعة الحال. تنصرف الدكتورة س... كلما عدت.

يجلس بدوره، باستسلام فوق المقعد مقابل جوليان. يبدو فجأة حائرا.

الرئيس : أتساءل إذا ما كنت قد أخطأت كليا.

جوليان : (في أعماقه) وأنا أيضا.

الرئيس : نتحدث ونعتقد أننا نلعب اللعبة الجيدة وفجأة نتلقى اللعبة كصفعة على وجوهنا.

جوليان : نعم.

الرئيس : اخترت الطريق الخطأ.

جوليان : (يتفاعل فجأة) ماذا قلت؟ أنت أيضا؟ (مستمتعا قليلا) هناك وباء اسمه المساءلة ينتشر في هذا الفندق.

الرئيس : صديقي الشاب. وحدهم المغفلون من لا يغيرون آراءهم. صدقني لقد عشت هذا الأمر.

جوليان : لا أشك في ذلك.

الرئيس : (مستمرا في تفكيره) ما كان علي أن أعلن أني أنتمي إلى نادي الفهود. لا بد أن الدكتورة س.. قد رغبت أن تنضم إليه، لكن زملائي، ربما، رفضوا طلب هذه الطبيبة التي تنتمي إلى مستشفى الضاحية. ومنذ أن نطقت كلمة «نادي الفهود» وهي تتفادى النظر إليّ. إنها تحملني مسؤولية فشلها.

جوليان : سيدي الرئيس. كن جدا: تعتقد حقيقة أن هناك من يهتم هنا بنادي الفهود؟

الرئيس : (واثقا من نفسه) بالتأكيد. الناس كلهم يرغبون في

الانضمام إلى نادي الفهود. لا أعرف أحدا لم يتمن أن يدخل إلى نادي الأوتاري.

جوليان : (واقفا) سيدي الرئيس لم أحلم أبدا أن أدخل إلى نادي الفهود.

الرئيس : (مصدوما) حقا؟

جوليان : أبدا، ولن أحلم به مطلقا.

الرئيس : (مستدركا فجأة) فهمت أنت تفضل نادي أسود البحر.

جوليان : لا.

الرئيس : قلت لك إن الدكتورة س... اتخذت مني موقفا منذ علمت أني أنتمي إلى نادي الفهود.

جوليان : سيدي الرئيس هل تعرف ماذا تفعل الدكتورة س... من الصباح إلى المساء؟ إنها توجه الكائنات البشرية نحو الحياة أو الموت. إنها تمرر الأقدار.

الرئيس : (منفجرا من الضحك) لا؟ هل صدقت النظرية الصغيرة للمنجم رادجابور حول المكان الذي نوجد فيه؟

جوليان : آه... نعم.

الرئيس : (ضاحكا) مكان بين السماء والأرض، حيث ننتظر أن يتحدد مصيرنا؟ الحياة أو الموت؟ بواسطة هذا المصعد؟ فندق بين عالمين؟

جوليان : نعم.

الرئيس : (ضاحكا) يا لها من سذاجة!

جوليان : لكن، عندما أتيت إلى هنا، اعتقدت أنك تؤيد أيضا هذه...

الرئيس : كنت أصطنع ذلك. المعمم يعتقد ذلك. النزلاء أيضا. تتركهم الدكتورة س... يعتقدون كي تواصل عملها. أنا أيضا سأدعي التصديق حتى النهاية. لا يجب أن تعارضهم.

جوليان : حسب ظنك، أين نحن إذن؟

الرئيس : في ملجأ للمجانين.

جوليان : هكذا إذن؟

الرئيس : هذا واضح أنه لا يوجد إلا المجانين هنا.

يفتح جوليان ذراعيه مستمتعا.

جوليان : وماذا تفعل هنا؟

الرئيس : خطأ في التقدير. بعد سقوطي، حملتني سيارة الإسعاف عن طريق الخطأ إلى مصلحة أخرى. وهذا ما أحاول أن أفسره، منذ يومين، للدكتورة س باستماتة.

جوليان : وبماذا تفسر أني لم أعد أتألم من التوائي المفصلي، وأن لورا تتحرك بسهولة بينما هي لا تتحرك إلا بمقعد متحرك؟

الرئيس : بواسطة قوى الإيحاء الذاتي.

جوليان : وبماذا تفسر أنك تسمع في غرفتك زوجتك وأبناءك يتحاورون؟

الرئيس : بالفعل، هذا غريب، لكن لا بد له من تفسير.

جوليان : التفسير هو ما تريد إنكاره.

الرئيس : هون عليك، يا صديقي الشاب. فلنكن جديين. مثل هذا المكان لا يوجد على الإطلاق لم يشر إليه في أي مكان إذا ما كنت قد درست الدين أنت ستعرف ذلك نحن نصعد إلى الله مباشرة

جوليان : ربما كان ذلك في المرحلة القادمة...

الرئيس : هراء فذلك ليس مكتوبا في أي مكان.

جوليان : انظر حولك جيدا هذا المصعد هذه القاعة هذا...

الرئيس : كل هذه أشياء لا وجود لها.

جوليان : وأنا أيضا لا وجود لي.

الرئيس : (بنفس سوء النية) بالتأكيد اقطع ذلك.

جوليان : كيف يمكنك إنكار ما يحيط بك! أنا هنا، وأنت هنا. نحن هنا. كيف يمكن أن أدلك على الواقع؟ كيف يمكنك أن تمر بجانب أشياء وأشخاص من دون أن تراهم؟

الرئيس : المسألة ببساطة يا عزيزي مسألة تربية: هذا ما يعني أن يكون لديك ثوابت.

جوليان : سيدي الرئيس ألا تدرك أن شيئا ما يغيب عن إدراكك.

الرئيس : بطبيعة الحال، صديقي الشاب. عندما يغيب عنا شيء معين، فبماذا سنتشبث؟ بإيماننا الراسخ طبعا.

جوليان : في النهاية، أنت تثق بقناعاتك أكثر بما تراه.

الرئيس : بطبيعة الحال، عزيزي الشاب. الطريق معتم ومغبش وملتبس، لهذا لدينا قناعاتنا، إنها بمثابة عصا ومصباح يقودنا في الطريق. وإلا فيما ستنفع؟ أنت تعقلن الأمور كثيرا.

جوليان : (قد ضاق به) وأنت تفكيرك مثل الطبل... يحدث أصواتا، لكنه أجوف

الرئيس : (مصدوما) عفوا؟

جوليان : (يكرر كما يفعل المنجم) لأنه أجوف.

الرئيس : (غير مكترث) أف، يا لفظاظتك! لا أستغرب من تفضيلك لنادي الأوتاري.

يدخل المنجم ماسكا لورا من ذراعها. يضحكان يبدوان مبتهجين.

لورا : (مخاطبة المنجم) يا للخسارة لأنك لم تكن هنا في المرة الأخيرة.

المنجم : أتمنى أن تبقي بيننا مدة طويلة.

لورا : (ناظرة إلى جوليان) أنا أيضا أتمنى ذلك.

يقف جوليان، يقتربان من بعضهما ببطء. ينظران إلى بعضهما.

يخرج الرئيس منزعجا. نسمع باب غرفته يصطفق.

جوليان : أصبح الأمر أكثر صعوبة الآن.

لورا : نعم.

جوليان : لا أجد الكلمات المناسبة.

لورا : نعم.

يحس جوليان بأنه مراقب، يلتفت نحو المنجم.

جوليان : لا نزعجك كثيرا.

المنجم : لا، إطلاقا. حقيقة، ولا ثانية. (يفتح جريدته) سأنشغل بقراءة جريدتي.

لورا : اتركه، إنه لطيف.

ينظران إلى بعضهما من جديد.

جوليان : إنه حب بلا مستقبل.

لورا : المستقبل لا يهم.

جوليان : (بحنان) أنت على صواب.

(ينظران إلى بعضهما يلمس أحدهما الآخر)

لورا : هنا لا حاجة للكلام.

يهب الرئيس غاضبا كعادته يهجم على المنجم،

ينزع الجريدة من بين يديه.

الرئيس : لو سمحت أريد صفحة البورصة.

ينزع الصفحة ويترك باقي الصفحات تسقط على الأرض.

المنجم : (ساخرا) تفضل، خذ ما تريد.

الرئيس : (متصفحا العواميد) ابني الغبي يدعي أن أسهم روبينا قد انخفضت. (يعثر على السطر ويهتف) لكن هذه هي جريدة الأمس.

المنجم : بطبيعة الحال. وهي نفسها لأول أمس. لقد أحضرتها معي، منذ ستة شهور. وأقرأها كل يوم.

الرئيس : هذا غباء.

المنجم : أص ص ص ممم... أنت تتحدث عن جهل... أنا من يحفظها عن ظهر قلب. يمكنني أن أؤكد لك: جريدة الجمهوري المستقل عدد يوم 12 أبريل. إنها لا يوجد أفضل منها.

الرئيس : كيف يمكنك أن تعيد قراءة الجريدة نفسها كل يوم؟

المنجم : لا أدعي الشعور بالدهشة الحقيقية ولكن، بالاهتمام، نعم الكثير من الاهتمام لما سيحدث لهذه المرأة المسكينة ذات المائة والثمانين كيلوغراما التي فقدت عملها بسبب وزنها وما سيحدث

لأبنائها الستة الذين لا معيل لهم. أتساءل كل يوم: بماذا ستطعم أبناءها؟ هل سيهتم بقضيتها عزيزنا رئيس الوزراء الذي فشل حزبه في الانتخابات الأخيرة. يساورني القلق في كل يوم: كيف سيتمكن من الحكم؟

الرئيس : هذه قصة قديمة. تخيل، يمكنني أن أؤكد لك تصور أن....

المنجم : لا أرجوك. إذا قدمت لي الإجابة اليوم، فكيف تريدني أن أطرح على نفسي السؤال نفسه غدا؟

الرئيس : في النهاية أنت تريد أن تعرف الأخبار...

المنجم : لا أحب الأخبار، وإلا لن أقرأ الجرائد. أحب التشويق. أحب مسلسلات الحياة. أحب أن أتساءل عما سيحدث غدا. أحب أن أتخيل أن شيئا ما سيحدث. إذا أردت أن أعرف فسأقرأ كتب التاريخ.

الرئيس : لا هل أنت مجنون!

المنجم : إذا كنت تجسد دور العقلاني، فأنا أريد أن ألعب دور المجنون.

الرئيس : (محرجا) عفوا؟

المنجم : أمر محزن أن نلاحظ إلى أي قدر تنقصك براعة الإجابة. كلما لسعتك، لا تجد إجابة غير «عفوا».

الرئيس : عفوا؟

المنجم : احتجاجاتك واهية وتافهة. أنت أردت ذلك، لن أزعجك بعد اليوم.

الرئيس : عفوا (يتدارك الأمر) أعتقد أنه لا يجب أبدا أن نفقد صديقا من أجل كلمة مزاح نتفوه بها.

المنجم : باستثناء أن الكلمات أكثر إخلاصا من الأصدقاء.

نسمع رنين الجرس معلنا رحيل أحدهم.

الدكتورة س... يلحق بها مساعدوها. تدخل مسرعة.

الجميع ينظر إليها متوجسين.

يضم جوليان لورا بقوة.

الدكتورة س... : سيدي الرئيس حان دورك.

الرئيس : (بارتياح) أخيرا. حان الوقت لوضع حد لهذا الخطأ الفادح.

الدكتورة س... : سيدي الرئيس، يجب أن تدرك أنه لا يحق لي، ولا سلطة لدي لأعاملك معاملة مختلفة عن الآخرين. كما لا يحق لي أن أستعجل أي شيء.

الرئيس : (فجأة جعلته اعتذاراتها أكثر لينا) هذا حسن. هذا حسن. الآن كل شيء على ما يرام. لا داعي للحديث عن الأمر. كنت مستعجلا. هذا كل شيء. يجب أن أذهب لأرتب الأمور في البيت.



الدكتورة س... : عزيزي الرئيس، أتمنى أن تكون الأيام التي قضيتها معنا مثمرة.

الرئيس : (بتلقائية) نعم. أظن أنني سأغير وصيتي.

الدكتورة س... : (لا تصغي) جيد.

الرئيس : سأترك القليل للرئيسة وسأحرم أبنائي من الإرث، وسأشيد مؤسسة.

الدكتورة س... : (لا تصغي) جيد.

الرئيس : ستحمل المؤسسة اسمي: مؤسسة دلبيك. سيكون هدفها المحافظة على ذكراي.

الدكتورة س... : إذا سمحت يا سيدي الرئيس، فلتأخذ مكانك داخل المصعد.

يقترب منها ويهمس.

الرئيس : تعرفين - إذا أردت - يمكنني أن أدعمك كي تصبحي عضوا في نادي الاوتاري.

الدكتورة س... : عفوا.

الرئيس : (بشيء من العجرفة) لن يرفضوا طلبي، لأنهم مدينون لي بالكثير.

تشير الدكتورة س... إلى مساعديها كي يساعدوا الرئيس على دخول المصعد.

يحافظ الرئيس على روحه الإيجابية مشيرا للدكتورة بطرف عينه.

الرئيس : وإذن، توافقين أن أصبح عرابك؟

المنجم : الدكتورة س.. تفضل نادي الاوتاري.

الرئيس : (بغضب شديد) بئس.. كنت متأكدا. كنت متأكدا. نادي الاوتاري هو مأوى الإرهابيين.

يبدأ الباب بالانغلاق. فجأة يبدأ الرئيس بالاحتجاج وقد انتابه القلق.

الرئيس : لكن إلى أي مكان تأخذونني؟ ليس من حقكم. سأشكوكم. اتركوني أخرج. النجدة.

ينغلق الباب ثم لا نسمع صراخ الرئيس.

ينظر الجميع بانتباه إلى السهمين فوق المصعد، كي يعرفوا وجهة الرئيس.

بعد ثوان، يشير السهم إلى اتجاه الأرض.

يتوقف الجرس عن الرنين وتسمع ضوضاء المصعد النازل.

جوليان : (ساخطا) ما هذا؟

المنجم : لا إنه يعود. (مخاطبا الدكتورة س...) قولي إن ما حصل ليس حقيقيا. هل له حق في جولة أخرى؟

الدكتورة س... : لقد شفي من صدمته. يتمتع الرئيس بصحة جيدة.

المنجم : حتما لا توجد صحة جيدة من دون أنانية.

الدكتورة س... : لا تنس أنه تعرض لحادثة اصطدام بدراجة هوائية فقط.

المنجم : دليني على عنوان الدرّاج الذي صدمه كي أقتني له دبابة.

جوليان : هكذا إذن تميتون ماري وتنعشون الرئيس....

الدكتورة س... : أنا؟ لا أرى أي علاقة بينهما. ليس الموت مكافأة أو هدية. يرى كل شخص أن الموت قضية شخصية. هذا سخيف. لا أحد سيفلت من الموت. ولكي أستخدم لغتكم. لم أصادف يوما أحدا يستحق الموت.

جوليان : آه، صدقتك. ألا تستقبلين مجرمين؟

الدكتورة س... : على العموم هؤلاء يموتون ميتة عنيفة. بالنسبة للرئيس لم يحن بعد موعده.

المنجم : (فجأة بضراوة) وماذا تقولين عن ابنتي؟ ابنتي ذات العشرين ربيعا. هل كانت تستحق الموت؟

يلتفت جوليان ولورا صوب المنجم متفاجئين.

الدكتورة... : (مقتربة منه بلطف) أنت تعرف رأيي جيدا. لقد تحدثنا حول الموضوع سلفا. في عمر العاشرة أو العشرين أو الثمانين أو المائة فالحياة هي نفسها التي نفقدها.

المنجم : (يهدأ فجأة) أرجو أن تقبلي اعتذاري.

الدكتورة س... : الحياة هدية تمنح للجميع والموت أيضا يمنح للجميع. والرئيس شخص كباقي الأشخاص.

المنجم : أحب أن أحترم الآخرين، لكني لا أستطيع احترام

من لا يحترمون أحدا.

تغادر الدكتورة س...

جوليان : ابنتك؟ هل كان لديك ابنة؟

المنجم : (مستدركا) أنا؟ لا.

يدرك جوليان أن عليه عدم الالحاح

لورا تبتسم بفطنة.

يجلس الثلاثة معا.

المنجم : إذن، قولي لي يا صغيرتي. هل سيتمكنون في الأسفل من إنقاذك؟

لورا : المسألة تتجاوزهم الآن، يجب أن يعثروا على قلب، ليزرعوه لي.

جوليان : هل أنت قلقة؟

لورا : لا أبدا.

المنجم : أنت قوية جدا.

لورا : مادمت لا أملك صحة جسدية، فإني حاولت أن أجدها في مكان آخر.

جوليان يمسك بيدها ويقبلها

لورا : (بهدوء) لست جديرة بأي شيء، فقد كنت مريضة باستمرار. ممدة أو جالسة في أغلب الأوقات مما جعلني أقل من طموحاتي. لا أستطيع القيام بنزهة. تسكرني وردة واحدة بدل يوم كامل من

النزهة بين حدائق الأزهـار. يمكن لشعاع وحيد ينسل من بين فتحات الستارة أن يغمرني كما لو أني أقضي يوما كاملا تحت شمس شاطئية. أتركه يدفئ عنقي ويستقر فوق كتفي وصدري، ويزيد من عبء الملابس. أحس بالبرد عندما يبتعد الشعاع ويـذهـب ليستقر نهائيا فـوق الـعـارضـة. صوت الأمطار والعواصف فوق السطح تجعلني أجول بحار العالم مستكشفة الإعصار والمركب المعرض لـلأمـواج الهائلة، ثم الجنـوح فـي الصباح التالي إلـى شاطئ رمـادي قاتم استعاد هـدوءه. يمكنني أن أنشغل ساعات بقطعة صغيرة من الصوف. أنـا لا أعـرف سـوى بعض القطط التي تستمتع بالقدر الذي أستمتعه (يقبلها جوليان مرة اخرى). في النهاية السعادة توجد بين أيدينا، يكفي فقط أن نجمد في مكاننا مستسلمين متناسين الأمس والـغـد. وإذا استطعنا أن نتقلص ونـغـوص في الحاضر فوق كرسي متحرك جالسين أمام نافذة مستمتعين بالكون جميعه. إن السعادة الكبيرة تتكون من تفاصيل صغيرة. (تنظر إلى جوليان).

جوليان : هل من الممكن أن نجد في ثانية واحـدة كل هـذا العمق الزمني كل هذا الزحم؟

لورا : يمكن أن نجد الأبدية في ثانية.

فجأة تتكمش وتجهش بالبكاء. يهرع جوليان لمساندتها. ينتبه المنجم للأمر.

جوليان : ماذا يحدث؟

لورا : لا أدري... فجأة أصبح كل شيء أقوى مني، إنني مرهقة...

جوليان : تعالي معي... يجب أن تستريحي في غرفتي.

ينهضان، يساعدها جوليان كي تخرج. تبدو على حافة الانهيار.

لورا : سيفرقون بيننا يا جوليان. سيكون رهيبا أن نفترق.

جوليان : (مهدئا) هيا، يجب أن تكون لديك الثقة.

لورا : لا شيء يدوم، يا جوليان، أعلم هذا. سيبعدوننا عن بعضنا.

جوليا : هيا بنا.

يمسك بيدها وينصرفان.

ينظر المنجم إليهما.

يدخل بعض العاملين ويتابعون خروج الثنائي يلتفت المنجم نحو الشباب المرتدين ملابس بيضاء.

تدخل الدكتورة س

الدكتورة س... : أريد أن أحدثك.

المنجم : آه، لديك معلومات عني، هناك؟

الدكتورة س... : نعم.

تجلس بجانبه، تبدو بائسة بعض الشيء، يبتسم لها بحنان.

الدكتورة س... : ما سأفعله يخرج عن اختصاصاتي، فحسب القوانين، ليس من حقي أن أخبرك، لكنك معنا منذ ستة شهور وهذا نسج بيننا مودة خاصة.

المنجم : ممم... يفاجئني ما تقولينه.

الدكتورة س... : (فجأة) ليس هناك أي تقدم بالنسبة لحالتك. يفكر الفريق الطبي أن يفصل عنك الأنابيب.

يتلقى المنجم الصدمة.

الدكتورة س... : أنا متأسفة. إنها ضربة قاسية.

المنجم : هل يمكنك أن تعيدي الجملة: فصل الأنابيب، مثل فصل مجفف للشعر... (صمت) لم أدرك حقيقة أنني بلا قيمة وأن حياتي مرهونة بأنبوب وموصل للكهرباء. وتحت رحمة ممرض مكلف بي (صمت). ماذا ينتظرون إذن؟

الدكتورة س... : الإذن.

المنجم : هذا صعب جدا. من سيمنحه لهم؟

الدكتورة س... : ابن أخيك، الوحيد المتبقي من عائلتك.

المنجم : يا إلهي، هذا الصغير المدعي الذي يسيل المخاط

من أنفه... أتمنى أن يتذكر ما اشتريته له من حلوى الفراولة... وأعياد الميلاد التي قضيناها سويا. أتمنى ألا يدرك أبدا أني كنت رفقته أغش أثناء لعب الورق معه.

الدكتورة س... : لم يعثروا عليه، بعد، كما أنهم لم يتمكنوا من الاهتداء إليه.

المنجم : (مبتسما) الصغير العزيز ينهي دراسته بالولايات المتحدة. (مبتهجا) الولايات بلاد واسعة.

الدكتورة س... : لا تتشبث بآمال خائبة، سيتصلون به، ولن تخرج من الغيبوبة.

المنجم : فهمت.

تربت على كتفه. يمسك بيدها يبتسم.

يدخل جوليان محدثا ضجة وهو يهرول صوب الدكتورة س...

جوليان : لحظة يا دكتورة س.. أريد أن أطلب منك طلبا، لكني أريد أن أتأكد أن جوابك سيكون بالإيجاب.

الدكتورة س... : (تترك كف المنجم) إذن، فلا سلفا.

جوليان : امنحيني لحظة. (تتوقف لسماعه) مهما يحدث لي أو للورا أريد أن نقطع نفس المسافة داخل المصعد. هل تفهمين؟ نريد أن نعود إلى الأرض معا أو نصعد إلى الأعلى معا.



المنجم	:	ألم تعد خائفا؟
جوليان	:	لم أعد خائفا إلا من شيء: أن أفقدها.
المنجم	:	هل تظن بوجود شيء في الأعلى؟
جوليان	:	من قبل كانت الصدفة تكفيني لتفسير هذا العالم المحبط هذا المزيج من الجزيئات كأنه وصفة حساء رديء. ولكن عندما أنظر إلى لورا... هل تكونت لورا من جزيئات اتحدت مع بعضها البعض بشكل تلقائي؟ الارتطامات التي تتسبب في تكوين الحصى والدخان ربما كانت السبب في جمال لورا، وابتسامة لورا..وروح لورا.
الدكتورة س...	:	ربما.
جوليان	:	اليوم لدي سبب لأكون متفائلا، يسمى لورا.
الدكتورة س...	:	أن تحب الحياة، هذا جيد، لكن ألست خائفا من الموت؟
جوليان	:	(مرتجفا) أقل من ذي قبل.
الدكتورة س...	:	إن الله الذي خلقنا هو من يميتنا.
جوليان	:	(مترددا) ما جدوى أن نحيا حياة واحدة؟ كان لا بد أن نعيش للأبد.
الدكتورة س...	:	من الأفضل أن تبقى الأمور كما هي. لم تريدها أن تستمر؟

جوليان : لم يمنحنا الذكاء كي ينزعه منا وإلا سيكون هدية غير ضرورية ومسمومة. مادة تبكي على نفسها، هل هو مازال مادة؟ والضمير، هل من العدل أن يميت الجسد أم أنه يسمو عن كونه مجرد لحم؟

الدكتورة س... : الضجر من الوعي: هل يدفعنا إلى التشاؤم أم إلى التفاؤل؟ هل هو وعي بالمأساة أم وعي بالغرابة؟

جوليان : أراهن أن معرفة الموت تعتبر إشارة.

المنجم : عن ماذا؟

جوليان : إننا لسنا هنا لكي نموت فقط.

الدكتور س... : مع أن كل شيء معتم.

جوليان : حيث أشاهد العتمة، أريد أن أرى بشائر النور.

الدكتورة س... : هل أنت مدين بهذا كله للورا؟

جوليان : ماذا تعني المعجزة؟ أليست ما يمنح الأيمان. إذن لورا معجزتي.

الدكتورة س... : (بمرح) بالتأكيد...

جوليان : معجزة واحدة تكفي. أنا الآن أكثر ثقة. أريد أملا في أشياء لا أفهمها. (مستعطفا) دعينا نرحل معا.

الدكتورة س... : كنت أتمنى أن أجيبك بالإيجاب.

جوليان : قولي نعم.

الدكتورة س... : لا قدرة لي. (صمت) مطلقا.

جوليان : (مغلوبا) آه...

الدكتورة س... : مصير لورا مرهون بالظروف وأنا لا أتحكم في الظروف.

جوليان : بالتأكيد..بالتأكيد... (يتوجه صوب الممر A) سأذهب لرؤية لورا..سأكون غبيا إن قضيت مزيدا من الوقت بعيدا عنها. (شاردا) شكرا.

(يختفي)

الدكتورة تسترخي فوق المقعد مرهقة بحوارها مع جوليان.

المنجم : مهنة صعبة.

الدكتورة س... (لا تجيب)

المنجم : (متفهما وضعها) الاهتمام بالآخرين، نيل ثقتهم ثم فجأة تعترفين لهم بأنك لا تملكين أي قدرة.

(تواصل الدكتورة س...صمتها، لكنها تبتسم)

المنجم : أنت تعجبينني، في البداية كنت أراك قاسية. بل لمتك كثيرا لأنك لم تمنحيني أجوبة شافية.

الدكتورة س... : أنت لا تريد أجوبة، أنت تعيش في الأوهام.

المنجم : نعم، القناعات، مثل قناعات الرئيس. القناعات هي سلاح الضعفاء والمتوجسين. بل إن القناعات السلبية تعتبر أهم من الشك. كنت أحتاج إلى من يقول لي: الأمور مثل هذا وليس مثل ذاك.

الدكتورة س... : ثم تعلمت أن تكتفي بالفرضيات.

المنجم : كم هو حسن أن نلعب بفقاعات الصابون كما نلعب بقاعات. وعندما لا نعرف، تخيل المزيد منها.

تستعد الدكتورة س... للانصراف.

ينهض المنجم فجأة، يخرج بطاقة من جيب سترته. يمدها للدكتورة بكبرياء.

المنجم : ها هو رقم هاتف ابن أخي، فلتطلبوه كي يتم فصلي عن الأنابيب.

الدكتورة س... : ليس ذات أهمية، فما سيحدث سيحدث، وليس من حقي تقديم هذه المعلومة.

المنجم : أتوسل إليك يا دكتورة. يجب أن تسرعوا. لورا تتواجد في مستشفى سان لوي وأنا كذلك. الإجراء بسيط للغاية. يكفي أن تنزعوا خيطا، وتأخذوا مني قطعة لحم من داخل صدري وتنزلوها إلى الطابق السفلي.

الدكتورة س... : أنت تطلب مني شيئا ممنوعا.

المنجم : ألم تملي من مشاهدة طابور من الأشخاص وهم يستعيدون وعيهم بالأشياء التي أخفقوا أو نجحوا فيها. ورؤيتهم ربما وقد أصبحوا أفضل ثم فجأة يصبح كل شيء بلا قيمة؟ ألم تملي من رؤية تحول مصائر البشر إلى لعبة يانصيب؟ وأن يكون الخلط هو المقياس الوحيد؟



افعلي شيئا؟ في هذه الحال قومي بدور العناية الإلهية!

الدكتورة س... : لا تكن ساذجا. العناية الإلهية هي أن يضع العالم فضائلك في الاعتبار،أن يكافأ الطيب ويعاقب الشرير، أن يكون المرض عقابا وأن يبعد الخير الموت، أجل عدالة أيا كانت؟ عدالة تشبه العدالة، حتى وإن كانت عدالة ظالمة، عدالة متقلبة أو منحازة أو مستبدة! إن ذلك يعني أن هناك إرادة، أمر، فكر، شيء يشبه الإنسان أعلى منك.

بدلا من ذلك، ومنذ الأزل بقيت الحياة كما هي، خرساء، عمياء،لامبالية، المادة لايهمها شجاعتك ولا كرامتك.

المنجم : وماذا عن الإرادة. إرادتي؟ إرادتك؟

الدكتورة س... : أنت تقيم في المكان الذي لا تتواجد فيه الإرادة.

المنجم : لا توجد الحرية إلا بشرط الإيمان واليقين. أوافقك، تسير المادة وفق قوانينها الخاصة في التكوين والتلاشي. لكن ألم ترغبي يوما، ولو مرة واحدة، أن تضيفي ذرة رمل مختلفة إلى الآلة اللامبالية؟

تصمت الدكتورة س...

المنجم : ذرة صغيرة من الرمل... مجرد ذرة صغيرة...

بساطة... إنسانية... كي نضع حدا للصدفة.

تصمت الدكتورة س...

المنجم : ثم تخيلي معي يا دكتورة س... أي متعة في أن تخرقي القواعد.

الدكتورة س... : لماذا لا تستطيع أن تكف عن مزج التفاهات بالتأملات الذكية؟ (تنهض)

المنجم : أحيانا، عندما كنت صغيرا، وخلال العطل، كنت أصعد إلى شجرة البرقوق في الحديقة لأرى عالم القرية من الأعلى، ولأشعر بالقوة والاختلاف والتفوق.

وكنت أقول لنفسي «أنني لو أردت أستطيع أن أحبس أنفاسي، وأحبس أنفاسي وكلما ضاعفت العملية أصبحت أكثر صعوبة وازددت احتقانا وضخمت الحرارة أوردة عنقي كلما أحسست بالقوة وبأنه لا يمكن النيل مني كنت في النهاية أستسلم دائما. لكن الإحساس كان يظل باقيا في أيام أخرى كنت أقول لنفسي «لو أردت ألا أموت فلن أموت كان هذا يبدو بسيطا حيث إنه في هذه اللحظة لا نستطيع أن نفعل أي شيء فيما بعد أدركت أنني....

أنني لن أفلت أبدا، وأنه لا مفر. هذا هو الدرس

الأول الذي تعلمته خلال مقامي الطويل إلى جانبكم: أتقبل القدر. الآن اريد أن أستخدم كي تعيش الصغيرة. وأن ينبض قلبي مكان قلبها. سأكون قد قدمت هدية مماتي. ها هو، يا عزيزتي دكتورة، درسي الثاني هنا: حب القدر.

يضع بطاقته بين يدي الدكتورة س... يقبلها بحرارة وكأنه يوثق ما يقول. هذه الأخيرة ترتبك وتتأثر. تريد أن تقول شيئا لكنها لا تستطيع.

تخرج خلسة.

يدخل جوليان ولورا إلى بهو الاستقبال. يختبئ المنجم وراء صفحات جريدته العريضة.

لورا : (مضطربة) أجل، يمكنني أن أؤكد لك، أننا سننسى كل ما حدث، بمجرد عودتنا إلى الأرض. عندما عدت في المرة السابقة لم أتذكر أي شيء. ولم أستعد الذكرى إلا في اللحظة التي فتحت فيها أبواب المصعد. تخيل يا جوليان أننا على الأرض لن نتعرف على بعضنا؟

جوليان : لا يقلقني الأمر. سأتعرف عليك.

لورا : لا. ذات يوم، عندما سنلتقي، سنتقابل، في أي مكان، في رواق، في شارع. ونظرتك تمر من فوقي، لن تلمحني حتى.

جوليان : مستحيل. سأبحث عنك في كل مكان.

لورا : أنا كذلك. ومع ذلك، يجب أن تتمرن.

جوليان : ماذا؟

لورا : أعرف أشياء، حتى الدكتورة س... تجهلها. خلال مقامي السابق، بدأت أتعلم رقصة التانجو مع خوان، رجل كان هنا.

جوليان : (يصدها معبرا عن غيرته) ماذا تقولين؟

لورا : (ضاحكة) كان عمره يتجاوز الثمانين. كان سعيدا جدا، إذ وجد جسده رشيقا متخلصا من آلام المفاصل وهو يرقص. كنت شريكته، فأنا لم أرقص أبدا.

جوليان : فليكن.

لورا : (فجأة تصبح أكثر جدية) اسمع، عندما نزلت، نسيت الفندق ويوان ودروس التانجو. لكن قدمي بقيت تعرف الخطوات، لقد شرعت أرقص بتلقائية. ينسى الوعي كل ما حدث هنا لكن الجسد يحافظ على الأثر. يجب أن نتمرن، أريد أن أكون متيقنة من أننا سنتعرف على بعضنا.

بكبرياء تضع يدي جوليان حول خصرها.

لورا : إذا لم تحس كفاك، بي فليس هذا ذنبي.

جوليان : أحبك.

لورا : شم رائحة شعري.



جوليان : رائحة العشب الطازج ورائحة الكمثرى.

لورا : إذا لم تحس بهذا فليس هذا ذنبي.

جوليان : أحبك.

لورا : انظر إلى عينيّ.

جوليان : خيوط خضراء وبنفسجية.

لورا : كم؟

جوليان : لكنني لا أعرف. هي...أكثر من ألف...

لورا : وإذا كانت أقل من ألف، فليس هذا ذنبي.

جوليان : أحبك.

لورا : قبلني

(يتبادلان القبل)

جوليان : ثق بي.. لن أنساك.

تتركه يائسة.

لورا : يا لغبائي.. ستبحث عني من خلال نساء أخريات وعندما يبتسمن لك - لأنهن جميعا سيبتسمن لك - ستتحدث إليهن، ستقبلهن، سأحصل على عكس ما كنت أريد، لا، لا يجب أن نجد شيئا آخر وبسرعة.

جوليان : سألقنك شفرة.. شفرة سرية.

يقترب منها، يأخذها بين ذراعيه بحب، يعلمها الشفرة.

(في هذه اللحظة تدخل الدكتورة س... يلحقها بها

مساعداها)

الدكتورة س... : جوليان، يجب أن أحدثك في غرفتك.

جوليان : حسنا.

تمر الدكتورة س أمام المنجم تحدثه بصوت خافت غير مسموع من الآخرين. ينهض المنجم.

الدكتورة س... : سقطت البطاقة من جيبك صدفة، فحملها أحد الممرضين إلى الطبيب.

المنجم : صدفة؟

الدكتورة : بالصدفة؟

المنجم : الصدفة تحسن القيام بأشياء كثيرة.

الدكتورة س... : أحيانا. (صمت) اتصلوا بابن أخيك، واكتشف هذا الأخير حالتك. وقد اضطرب ويقول إنه ضد الصرامة العلاجية. يقول أيضا إنه يحبك كثيرا.

المنجم : كان يحبني كثيرا...

يشعر المنجم بالصدمة لما سمع، يحس ببعض الضعف

مصدوما بما سمعه، يحس بالفشل. يستند إلى ظهر المقعد. يغادر جوليان الغرفة برفقة الدكتورة ومساعديها.

لورا : (مندهشة لشحوب المنجم) هل أنت بخير؟

المنجم : نعم، نعم...

يجلس.

تقترب منه.

المنجم : تعرفين، فيما مضى، كانت لدي ابنة، تشبهك قليلا. العينان نفسهما صغيرتان وساخرتان من العالم لها نفس الهيئة الجريئة والشجاعة نفسها.. نفس المظهر الجسور لمن لا يتأثر بالحياة، الشعر الكثيف الناعم الذي ينضح بالصحة عندما كنت أنظر إليها كنت أجدها غاية في الجمال كنت أجدها امرأة مكتملة حتى أني كنت أقول لنفسي «مستحيل أن تكون مني» كانت تمتلك قوى سحرية: عندما تدخل إلى غرفة، كانت تذيب بؤس العيش من العيش من الوجود. في تلك المرحلة كنت أعمل ممثلا تجاريا كنت أقضي أياما في السفر وليالي في الفنادق المبتذلة. بعض العملاء كانوا يغلقون الأبواب في وجهي، لكن في خضم هذه الظلمات، كانت ابنتي بمثابة مصباحي الصغير، ونوري. فجأة تحسنت أوضاعي وفزت بصفقات دولية مهمة. حينها وأثناء وجودي في الولايات المتحدة، في فندق، هاتفتني بصوت بارد. «أبي أنا مريضة بعض الشيء» كانت قد أدخلت إلى المستشفى وأنا اضطررت للبقاء في الجانب الآخر من المحيط.

كنت أقوم بأكبر صفقة، يمكن تخيلها، لشركتي. كنت مكبلا بهذا النجاح. ولم يكن بمقدوري العودة. كنت أحس بنوع من النشوة. كنت أحس عبر الهاتف بصوتها يزداد ضعفا لكنني اعتقدت أن صغر سنها وقوتها سيجعلانها تستعيد صحتها ومعنوياتها بمجرد عودة والدها. (صمت) لكن مرضا أهلكها في عمر العشرين. كان فيروسا، آلة حربية عاتية تلتهم القوى واللحم وخلال أيام لا تترك فوق السرير غير هيكل عظمي صغير. عدت بعد فوات الأوان بعد وفاتها.

يتوقف، محطما من الانفعال. لورا، بتلقائية، تضع رأسها فوق كتفه.

المنجم : تركت عملي. وبدأت أستحضر الأرواح، وألمع كرات الكريستال، أردت أن تكلمني، الا تكون قد تركتني، لكني لم أصادف إلا الصمت. عندئذ أصبحت المنجم رادجابور. أعتمر هذه العمامة السخيفة التي أستعملها مثل كمامة طي أمنع نفسي من الصراخ ألما. (صمت).

الذكريات التي نحتفظ بها عن طفل متوفى، تبقى محجوزة في مكان مقدس مصونة بالألم:

ليست من نفس قماش الذكريات الأخرى، فهي بلا

تجاعيد ومنيعة أيضا. (صمت) لم أستطع أن أفعل أي شيء لأجلها.

لورا : لم يكن باستطاعتك.

المنجم : حتى أنني لم أكن متواجدا.

لورا : لم يكن باستطاعتك.

المنجم : كنت أحس بالذنب. كنت اتمنى...أن أصلح الأمور.

لورا : الإصلاح؟ لا يمكنك إصلاح أي شيء.

يرفع رأسه مبتسما.

المنجم : بلى، لقد قمت بذلك، ذات يوم، مع شخص آخر.

لورا : حقا؟

المنجم : نعم.

(صمت)

لورا : كان ذلك يوما رائعا بلا شك.

المنجم : (عيناه تغرورقان بالدموع في سعادة) رائع.

تقترب لورا منه، تحدثه ببساطة شديدة ولطف.

لورا : أحبك كثيرا. يسخر بعضهم منك، لكنني أحبك حبا جما.

المنجم (يبكي مبتسما) شكرا.

تلقي بنفسها بين ذراعيه متأثرة، ربما يتأثر ويضطرب، ولا يعرف كيف يحتضنها.

في هذه اللحظة تدخل الدكتورة س... مسرعة. مع مساعداها. كانت تقصد كعادتها إفراغ الغرفة. لكن عندما لمحت لورا تعانق المنجم توقفت للحظة.

ثم قالت بهدوء.

الدكتورة س... : أنا مضطرة أن أطلب منك إخلاء المكان، أريد أن أتحدث للمنجم.

لورا : حسنا، يا دكتورة.

تترك لورا المنجم برفق.

لورا : إلى اللقاء؟

المنجم : (واضعا كفه على قلبه) إلى اللقاء.

تغادر لورا.

تذهب الدكتورة إلى لوحة التحكم لمراجعتها حيث ضوء أحمر يومض. يرن الجرس. تلتفت نحو المنجم.

الدكتورة س... اعذرني، نحن بالفعل تأخرنا كثيرا.

المنجم : هل سينجح الأمر؟

الدكتورة س... : ادخل إلى المصعد.

ترافقه إلى المصعد الذي يفتح أبوابه.

المنجم : دكتورة، أعرف أنه ليس من حقك أن تقولي أي شيء. لكن هل سينجح الأمر؟



من داخل المصعد.

الدكتورة س... : قرر الفريق الطبي أن يزرع قلبك مكان قلب لورا.

المنجم : شكرا.

الدكتورة س... (منفعلة) لا، لا تقل شيئا. لا أحد أبدا قال: شكرا. خصوصا إذا كان سيذهب إلى الأعلى.

المنجم : (قبل أن ينغلق البابان) شكرا.

المصعد الآن منغلق. نرى سهم الأعلى يومض. نسمع هدير الرحيل.

تلتفت الدكتورة قلقة صوب مساعديها اللذين أدركا خرقها للقوانين.

الدكتورة س... : أعلم. هذا ضد القوانين.

يرن الجرس من جديد.

الدكتورة س... : اذهبا لإحضار لورا سريعا.

يركض المساعدان، بعد بضع ثوان، يعودان تلحق بهما لورا وجوليان وقد احاط أحدهما الآخر بذراعيه.

الدكتورة س... : حان دورك يا لورا.

لورا : (وهي بين ذراعي جوليان) لا. لا ليس الآن.

الدكتورة س... : (تنظر بقلق إلى لوحة المصعد) لورا أرجوك، ليس لديك ثانية واحدة لتضيعها.

لورا : لا ليس الآن. والمنجم، أين المنجم، أريد وداعه.

لا يبدو جوليان مرعوبا. يقود لورا إلى المصعد وهنا يحتضنها بقوة.

يتدخل المساعدان للفصل بينهما. يدفعانها بلطف داخل المصعد.

جوليان : وكوني واثقة ياحبيبتي.

لورا : تذكر الرمز السري.

هي وحيدة ومرعوبة داخل حجيرة المصعد.

ينغلق الباب.

لورا : (تصرخ صرخة مختنقة) جوليان!

المساعدان والدكتورة س... ينظرون إلى السهمين بخوف. فجأة السهم الرابط يومض.

ينطلق المصعد.

جوليان : (يصرخ فرحا) نعم. نعم. نعم!

يقبل الدكتورة س..من شدة الفرح والمساعدين أيضا اللذين لم يعترضا على هذه الحركة.

جوليان : شكرا دكتورة، لأنك أخبرتيني قبل قليل بما فعله المنجم، وإلا لن أجد الشجاعة لمرافقة لورا إلى غاية المصعد. هذه معجزتي الثانية.

الدكتورة س... : (تنظر إلى مساعديها بحرج) اصمت...

تستند الدكتورة س... على الحائط كي تستعيد أنفاسها.



الدكتورة س... : لا تمر الأمور وفق القوانين. غدا سيكون الأمر مختلفا!

تنظر حينئذ إلى المساعدين. يبتسمان ابتسامة غامضة.

تدرك المعنى، تسترخي مبتسمة أيضا.

الدكتورة س... : أنتما على حق: غدا سيكون مختلفا.

تلتفت صوب اللوحة معلنة لجوليان:

الدكتورة س... : سيحين دورك حالا.

جوليان : (بهدوء) في أي اتجاه؟

الدكتورة س... : لا أعلم.

جوليان : (بهدوء أكثر) دكتورة هل تعرفين ما يوجد في الأعلى؟

تهم الدكتورة س... أن تجيب لكنها تدرك أنها محاطة بمساعديها. يلاحظ هذان الأخيران حرجها، يشاوران بعضهما ثم يختفيان.

تمكث الدكتورة وجوليان وحدهما.

الدكتورة س... : (تومئ برأسها) لا.

الدكتورة س... : أنا لا أعرف إلا عملي. أن أستقبلكم. أجعلكم تنتظرون. ثم أصحبكم إلى المصعد. (صمت) لا أعرف شيئا آخر. (صمت) أنا مكلفة بالباب أعرف فقط أن عند الصعود تصبح الرحلة في اتجاه

واحد، لاعودة منها.

جوليان : لماذا يطلقون عليك اسم دكتورة؟

الدكتورة س... : هكذا تراني اليوم. وهذا يمكن أن يتغير. هذا يعتمد على الظروف.

جوليان : عفوا؟

الدكتورة س... : الرئيس ديلبك أعتقد أنني رجل.

جوليان : هذه الأمور تتجاوز إدراكي.

الدكتورة س... : (بابتسامة متواطئة) وأنا أيضا. (صمت) بالنسبة لي ولك أيضا، ليس الموت فعلا بل لغز.

جوليان : أنت تعرفين أكثر مما تقولين. (صمت) إذا كانت الحياة هبة، فمن وهبنا إياها؟

الدكتورة س... : في رأيك من؟

جوليان : أنا أسألك.

الدكتورة س... : وأنا أيضا.

جوليان : (بأناة) الله أم الحياة نفسها.

الدكتورة س... : بالنسبة لهذا السؤال فان الإجابات ذاتها تثير علامات استفهام.

الحياة نفسها؟ ما الفرق؟ على أي حال هذا معناه أنك مدين!

جوليان : مدين؟

الدكتورة س... : نعم وهبك الله هدية ويجب أن تقبلها؟



جوليان : بالتأكيد.

الدكتورة س... : ثم يجب أن تحافظ عليها.

جوليان : نعم.

الدكتورة س... : وفي النهاية أن تسلمها لغيرك. يجب أن تمنحها لمن يحيطون بك: الأبناء، الأفعال، الأعمال، الحب...

جوليان : بالتأكيد (مفكرا) وهكذا وربما إلى نهاية الزمان. عندما ستكون الهدية قد استنزفت، سنكون في هذه الحالة قد استحققنا...

الدكتورة س... : (بغموض) ربما...

جوليان : إذن أنت لا تعرفين ما معنى الموت؟

الدكتورة س... : الشيء الأسوأ الذي قد يحصل مع هذا السؤال. هو أن نعرف الإجابة.

يرن الجرس.

الدكتورة س... : جاء دورك

يظهر المساعدان.

باب المصعد ينفتح.

يذهب جوليان إليه طوعا.

جوليان : غريب حتى إذا كنت سأموت الآن، فإني سأموت وأنا أشعر بسكينة.

الدكتورة... الطمأنينة.

جوليان : مع أنني لا أعلم إلا قليلا، لكنني أقل رعبا لأنني لا أعلم؟

الدكتورة س... : الإيمـان شعلة صغيرة لا تنير شيئا ولكن تبعث الدفء.

يدخل جوليان إلى حجيرة المصعد، لكن فجأة يستبد به القلق.

جوليان : الدكتورة س... إذا التقيت بلورا، هل تعتقدين أننا سنتعرف على بعضنا؟

الدكتورة س... : بالتأكيد. بمجرد خروجك من المصعد ستنسى كل شيء، لكن توجد ذاكرة عميقة، كامنة بين طيات العقل.

(تغلق الأبواب على جوليان)

تنظر الدكتورة س... ومساعداها إلى أي سهم سيومض أعلى المصعد.

لكن الوميض يرتفع إلى درجة الضوء الأبيض الساطع، ثم إلى مستوى الأبيض الباهر اللامع كما لو أن الفندق يغرق كله داخل النور. قبل أن نعرف مصير جوليان إذا كان قد مات أم نزل إلى الأرض.

«ســــــتار»



المترجم في سطور

د. محمود المقداد

(1)

- ولد أ. د. محمود فارس المقداد عام 1951 بمدينة بصرى بمحافظة درعا - سورية.

- دكتوراه في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي عام 1986.

- عُيِّن معيدا في قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة دمشق عام 1978، ثم مدرسا عام 1987، ثم أستاذا مساعدا في قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة دمشق عام 1993.

- درَّس في قسم اللغة العربية بجامعة عمر المختار بمدينة البيضاء بليبيا عامي 1991/1992 و1992/1993.

- درَّس في قسم اللغة العربية في كلية التربية الأساسية بالكويت من عام 1993/1994 إلى عام 2006/2007.

- عضو في اتحاد الكُتَّاب العرب (جمعية البحوث والدراسات) بدمشق منذ عام 1993.

- له نحو ستين بحثا ومقالة.

(2)

انشطة علمية وثقافية

- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الآداب وشارك في مناقشتها في قسم اللغة العربية بآداب جامعة دمشق.

- أدار، عام 1992، ندوة خاصة في جامعة عمر المختار استمرت نحو شهر بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لخروج العرب من الأندلس عام 1492 بعنوان «الدروس والعبر».

- حكَّم عددا من البحوث لبعض المجلات والدوريات العربية المحكمة (كحوليات الآداب بجامعة الكويت، ومجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية).

- شارك في لجان ترشيح لبعض الجوائز العربية الكبرى (كجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لعام 1997).

- شارك بالحضور في ندوة (شوقي - لامارتين) التي أقامتها مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين بباريس في خريف عام 2006.



(3)

الكتب المنشورة

1 - «الموالي ونظام الولاء (من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي)»، دار الفكر بدمشق، ط1، 1988.

2 - «قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)»، للمستعربين الفرنسيين ريجيس بلاشير (R. Blachere) وجان سوفاجيه (J. Sauvaget)، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط1، 1988.

3 - «تاريخ الدراسات العربية في فرنسا»، سلسلة «عالم المعرفة»، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد 167، ط1، 1992.

4 - «مختارات من الأدب في صدر الإسلام (النصوص النثرية)»، منشورات جامعة دمشق، ط1، 1992.

5 - «قراءات في أدب العصر الأموي (النثر)»، منشورات جامعة دمشق، ط1، 1992.

6 - «تاريخ الترسل النثري عند العرب (في الجاهلية)»، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط1، 1993.

7 - «تاريخ الترسل النثري عند العرب (في صدر الإسلام)»، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط1، 1993.

8 - «تاريخ الترسل النثري عند العرب (في العصر الأموي)»، مكتبة الفرسان بالجهراء، الكويت، ط1، 1997.

9 - «الأعمال الشعرية الكاملة (د. محمود المقداد)»، دار العودة ببيروت، ط1، 2004.

10 - «الإلهام وفن الشعر عند أمير الشعرات أحمد شوقي» للمستعرب الفرنسي أنطوان بودولاموت (A. Boudot-Lamotte) (ترجمة عن الفرنسية)، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري العربي، ط1، الكويت، 2006.

11 - «ابن قتيبة الدينوري (أديب الفقهاء وفقيه الأدباء)» للمستعرب الفرنسي جيرار لوكونت (Gerard Lecomte) (ترجمة عن الفرنسية)، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ط1، 2006.

12 - «الأدب في بلاد الشام في صدر الإسلام (الشعر والنثر)»، ضمن كتاب «الحركة الأدبية في بلاد الشام»، الجزء الأول (التأريخ)، ص103 - 166، و«نصوص مختارة من الأدب ببلاد الشام في صدر الإسلام»، ضمن: م. س، الجزء الثاني (المختارات)، ص57 - 86. وقد صدرا معا بمناسبة احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية عام 2008، دمشق، 2008.

13 - «الرقص أمام المرآة» (مسرحية من ثلاثة فصول) للكاتب الفرنسي فرانسوا دو كوريل (Francois de Curel)، سلسلة «من المسرح العالمي»، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد الرابع عشر، ط1، مارس 2010.



هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من

المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة



أسماء وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ - الحرة - قسيمة 34 - الكويت - الشويخ - ص.ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing. Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي المؤتمرات - طريق مكة المكرمة - ص.ب 62116. الرمز البريدي 11585	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرامكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص.ب 372	00202 25782700-25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص.ب 13683 - زنقه سجلماسه - بلفدير - ص.ب 13008	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص.ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الغميق - شارع سعد - بناية فواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - تلاع العلي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين - المنامة - ص.ب 10324	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العذيبة - سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص.ب 3488	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص.ب 1314	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	Al Izdihar (alizdihar__co@yahoo.com)	-	-
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	00718 4725488	00718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904

سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت